

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

لا تقل وداعا ..

لـماذا ياحب يأتى الفـراق ويذبل فى العين دمع الهوى
لـماذا تموت بذور اشتياق أينعت يوماً فى قلب غـوى
كيف يا قلب دمعى مراق ودمع المحب خبا وانزوى
كيف ضمنا بأمس العناق واليوم يطوى صبانا الثرى

(نبيل)

١ ـ عاشقة ..

آنسة (حنان) ، أحضرى ملف شركة المقاولات الحرة إلى مكتبى .

انسابت العبـارة تحمل دفء صاحبها وصرامته إلى أذن (حنان) ، عبر جهاز الاتصال الداخلى بين مكتب مديرها وحجرتها الصغيرة ، فتركت ما كانت تعمل به من أوراق ، وضغطت زر جهاز الاتصال وهى تقـول فى احترام :

ـ حالا يا أستاذ (سامح) .

نهضت من خلف مكتبها ، وبحثت عن الملف بأصابع مدربة ، ثم التقطته ، وتحركت نحو مكتب مديرها فى سرعة ..

توقفت فجأة وكأنها تذكرت أمراً هامـًا ، وأسرعت تفتح درج مكتبها ، وتلتقط منه مرآة صغيرة ، تأملت فيها ملامح وجهها لحظة ، ومرت بيدها على خصلات شعرها الكستنائى القصير ، وثبتت منظارها الطبى الصغير فوق عينيهـا ، ثم أعادت المرآة إلى مكانهـا فى عجـل ، وأسرعت إلى مكتبه ..

دفعت الباب وانسابت إلى الداخل فى هدوء ، وتأملته لحظة ، ثم تقدمت منه فى احترام وناولته الملف ..

التقط هو الملف من بين أصابعها دون أن يرفع وجهه إليها ، أو يتوقف الحديث الدائر بينه وبين المقاول ضخم الجثة ، صاحب شركة المقاولات الحرة ..

وعلى العكس من مديرها التهمتها نظرات المقاول التهاماً ، مما بعث فى نفسها شعوراً جارفاً بالخجل ، فأسرعت تغادر الحجرة ، وتغلق الباب خلفها ..

جلست خلف مكتبها وقلبها يدق فى عنف كعادتها كلما التقت بمديرها الأستاذ (سامح فهمى) ..

عادت تخرج مرآتها الصغيرة ، وتتأمل ملامحها فى هدوء ..

لم تكن باهرة الحسن ، ولكنها جميلة على كل الوجوه .

فوجهها المستطيل الأبيض ناعم البشرة مشرب بحمرة خفيفة ، تزداد مع تصاعد الدماء إلى وجنتيها خجلا ..

عيناها عسليتا اللون ، لهما بريق جذاب يوحى بأنها قد انتهت من البكاء توًّا ..

شفتاها ممتلئتان بعض الشىء ، ولكنهما تصنعان لوحة رائعة مع ذقنها المدببة الرقيقة ..

شعرها كستنائى قصير ، تحرص دائماً على تصفيفه بنفسها فى عناية وجمال ..

ثيابها بسيطة ، ولكنها توحى بالأناقة ، وسلامة الذوق والاحتشام ..

لم يكن يضايقها سوى ذلك المنظار الصغير ، الذى تضطر لوضعه فوق أنفها بسبب قصر النظر الذى يلازمها منذ طفولتها ..

كانت تشعر أن هذا المنظار الطبى يمنحها مظهراً جديًّا جافًّا ..

وتساءلت فى أعماقها : أهو سبب عدم التفات الأستاذ (سامح) إليها ؟ ..

كانت قد التحقت بالعمل سكرتيرة خاصة له منذ ثلاث سنوات ، وكانت شركته الهندسية – حينذاك – تخطو خطواتها الأولى ، ولم يكن اسمها قد لمع فى عالم الأعمال كما هو اليوم ..

مازالت تذكر ذلك اليوم الذى تقدمت إليه فيه بطلب الحصول على الوظيفة ، ظنته يومها فى منتصف الأربعينات

من العمر ، بسبب تلك الخصلات الفضية التى ملأت فوديْه وأدهشها كثيراً أنه لم يتجاوز الثالثة والثلاثين بعد ..

استقبلها يومئذ فى جدية بالغة ، وألقى عليها نظرة سريعة تخلو من الاهتمام ، ثم سألها فى كلمات مقتضبة عن مؤهلاتها ، وخبراتها السابقة ، ولم تتبدل ملامحه كثيراً حينما أخبرته أنها لا تحمل قط أية شهادات خبرة ، وأنها أول مرة تتقدم فيها للحصول على وظيفة ما ، كل ما فعله هو أن رفع إليها عينيه الفيروزيتين ، وتأملها بمزيد من الاهتمام ..

عيناه .. يالهما من بحر فيروزى تتلاطم فيه أمـواج الغموض ! !

ليست تدرى لمَ أثارت نظراته فى أعماقهـا رجفة حينذاك ..

كان لعينيه لون عجيب ، هو مزيج من الأزرق والأخضر ، وأقرب وصف لها هو أنهما فيروزيتان ، وهذا اللون العجيب يدفع المرء إلى تأمل عينيه أكثر من مرة إذا ما تحدث معه ..

ولكن هذا اللون وحده لم يكن مبعث رجفتها ، وإنما

هو ذلك الحزن العميق الذى يطل من عينيه ، على الرغم من ملامحه الجامدة ....

حزن يبدو وكأنه لا يذبل ولا ينتهى .. حتى حينما تربح شركته آلاف الجنيهات ..

حتى فى اللحظات النادرة التى يبتسم فيها ، لا يمكنك إلا أن تلمح هذا الحزن العجيب المطل من عينيه ، وكأنه قد استقر فيهما ، وطاب له العيش ، فأبى أن يرحل عنهما ..

يومها أسرتها عيناه ، وخدرها صوته الدافئ الحنون وهو يقول :

— حسناً يا آنسة (حنان) ، سأختبرك أسبوعين ، ثم نرى ماذا يكون .

لم يخبرها بنتيجة هذا الاختبار بعد أسبوعين من العمل ، حاولت خلالها أن تكون مثالا للسكرتيرة النشيطة الذكية ، وظلت طوال فترة الاختبار تبحث فى عينيه عن النتيجة ، ولكنه ظل هادئ الملامح ، حزين العينين ، حتى انتهت فترة الاختبار ، وفوجئت به يوقع أمراً بتعيينها فى الشركة ، بنفس البساطة التى يتعامل بها مع عملائه ...

يومها كادت ترقص فرحاً .. ليس لأنها ضمنت

وظيفة ، ولكن لأنها ستبقى إلى جواره طويلا ...

لم تشعر بميلها إليه فى الأيام الأولى .. كل ما أثاره فى نفسها حينئذ هو الفضول ..

الفضول لمعرفة سر ذلك الحزن ، الذى يطل من عينيه على نحو دائم ..

ولكن أسلوبه الهادئ المهذب ، وصوته الدافئ الحنون ، واهتمامه الشديد بعمله ، كل هذه الأشياء أثارت فى نفسها الإعجاب ، الذى لم يلبث أن تحول إلى حب قوى جارف ، تشعّب فى أعماقها ، واحتل قلبها ..

واعترفت فى آخر أيام فترة الاختبار أنها قد أصبحت عاشقة ..

عاشقة تخشى الاعتراف بحبها ، بل تخشى حتى أن تبدو منها بادرة تشير إلى ذلك ، مما دفعها إلى مزيد من الجدية والصرامة فى عملها ..

وعاونها هو على ألا ينكشف سرها ..

عاونها بعدم التفاته إليها ..

وبقدر ما أزعجها عدم اهتمامه بها ، بعث هذا فى قلبها الارتياح ..

فلو أنه رفع عينيه إلى عينيها مرة واحدة ، لرأى الحب العاصف الذى يملؤهما ، ولانهار جدار الجدية والصرامة الذى تحيط به نفسها ..

أثار الحزن المطل من عينيه فضولها ، ولكن ذلك الفضول لم يستمر طويلا ، فبعد شهر واحد من عملها فى الشركة التقت و (هدى) .. تلك الفتاة اللعوب التى تعمل فى قسم الحسابات ، وما زالت تذكر حديثهما منذ ذلك الحين .. فلقد بدأت (هدى) تتأملها طويلا ، من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، ثم سألتها فى مرح مصطنع :

— أنت سكرتيرة المدير العام إذن ! .. تسعدنى مقابلتك ، اسمى (هدى) .

ابتسمت يومئذ وهى تحرص على المحافظة على جديتها ، وقالت :

— تسعدنى مقابلتك أيضاً يا آنسة (هدى) .. اسمى (حنان) ..

تطلعت إليها (هدى) بعينين عابثتين وهى تقول فى سخرية :

— آنسة ؟!

ثم اتخذت مقعدها أمام مكتب (حنان) ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، على نحو ينم عن استهتار بالغ ، ومالت نحو (حنان) وهى تقول :

– هل تحبين دائماً استخدام الألقاب ؟ .. إننى أميل إلى الأسلوب البسيط .

لم تتمالك نفسها من الابتسام وهى تقول :

– حسناً يا (هدى) ، لن نستخدم الألقاب فى حديثنا بعد ذلك .

ثم تشاغلت بمراجعة بعض الأوراق ، وكأنها تعلن عدم رغبتها فى الحديث وإضاعة الوقت فى أثناء العمل ، إلا أن (هدى) نجحت فى إثارة انتباهها تماماً ، حينما قالت:

– أما زال المدير حزيناً ؟ .. إننى أتصور أحياناً أنه لا ينساها مطلقاً .

وضعت (حنان) القلم فوق الأوراق فى بطء ، فقد صدمتها عبارة (هدى) ..

لم تدر لماذا لم تتصور مطلقاً أن يكون حب فاشل هو سبب كل هذا الحزن فى عينى الأستاذ (سامح) ..

صدمتها العبارة حتى أن صوتها بدأ مرتجفاً وهى تخلع منظارها الطبى ، وتضعه إلى جوار القلم مغمغمة :

– لا ينساها مطلقاً ؟ ! .. من هى هذه ؟

مالت (هدى) نحوها ، وهمست فى لهجة من يذيع سرًّا خطيراً :

– (نجوى) .. (نجوى حمّاد) .

تمتمت وقد ازداد صوتها اختناقاً :

– (نجوى حماد) ؟ ! .. من هى (نجوى) هذه ؟

اعتدلت (هدى) ، وظهر الارتياح والفخر فى ملامحها وهى تقول :

– لقد كانت جارتى فيما مضى .. ولقد كان الأستاذ (سامح) غارقاً فى حبها حتى أذنيه .

فشلت (حنان) فى التقاط منظارها الطبى بأصابعها المرتجفة المضطربة ، فعادت بمقعدها إلى الوراء فى عصبية، واكتفت بالاستماع إلى (هدى) التى تابعت قائلة :

– كان هذا منذ خمسة عشر عاماً ، كان هو فى الحادية والعشرين ، وهى فى منتصف التاسعة عشرة ، وكانا زميلين فى كلية الهندسة ، ومن العجيب أن حبهما

كان مضرب الأمثال ، وكانا قد أصبحا رمزاً للحب والعشق ، والهيام ، عندما تزوجت (نجوى) .

غمغمت (حنان) فى شحوب :

ــ تزوجت ؟ !

أومأت (هدى) برأسها تؤكد العبارة ، ثم أردفت وهى تهز كتفيها :

ــ نفس القصة التقليدية ، تزوجت رجلا ثريًا ، يؤمِّن لها حياة الرفاهية ، وتخلت عن حبيبها العادىّ فى قسوة ، دون أن تحاول الاعتذار ، وأصيب هو بانهيار عصبى شديد ، حتى أنه رسب فى نفس العام الدراسى ، الذى تزوجت فيه (نجوى) ، وأطلق لحيته ، واعتزل المجتمع .

غمغمت (حنان) فى لهفة :

ــ ثم ؟ !

قالت (هدى) وهى تلوح بكفها :

ــ ثم عاد فجأة إلى تفوقه .. لم يفهم أحد ماذا أعاده فجأة هكذا ، ولكن الجميع شعروا بالفرح من أجله ، تصوروا أنه قد استبعد (نجوى) من حياته ، ولكن هذا لم يكن صحيحاً ، حتى أن تلك النظرة الحزينة لم تفارق عينيه

منذ عودته ، كما أنه لم يحاول العودة لنشاطه السابق ، بل اعتزل زملاءه وزميلاته ، ولم يعد هناك ما يملأ حياته سوى الرغبة فى التفوق .

توقفت (هدى) عند هذه النقطة ، فخيم الصمت على جو الحجرة ، وتصورت (حنان) أن خفقات قلبها أصبحت مسموعة ، حتى عادت (هدى) تقول :

ــ لقد تفوق بالفعل ، وتخرج بتقدير ممتاز ، ولكنه رفض العمل فى الجامعة ، وظل يسعى حتى حصل على عقد عمل ممتاز فى واحدة من دول البترول ، وقضى هناك سنوات عدة ، ثم عاد يفتح تلك الشركة الهندسية .

قالت (حنان) فى لهجة غير مقنعة :

ــ لا أعتقد أنه يذكرها كل هذا الوقت .

هتفت (هدى) فى حماس :

ــ هل تراهنينى ؟

عادت إليها صرامتها وهى تنهى الحديث ، قائلة :

ــ من الخطإ أن نضيع وقت العمل فى مثل هذه الأحاديث .

ثلاث سنوات كاملة وهى تحاول نسيان هذا الحديث دون أن تفلح فى ذلك ..

كان خيالها يرسم صورة تلو الأخرى لـ (نجوى حماد) هذه ...

فتارة تتصورها شقراء وأخرى سمراء .. مرة نحيلة ، ومرة ممتلئة ..

صنعت لغريمتها آلاف الصور فى عقلها ، دون أن تجرؤ على البحث عنها ، أو معرفة شكلها الحقيق ..

كانت تخشى أن تجدها أكثر جمالا وبهاء منها ...

كانت تخشى قوة غريمتها وتفوقها ..

وكثيراً ما تساءلت عما حدث لـ (نجوى) بعدزواجها ..

أهى سعيدة ؟ .. هل أنجبت ؟ .. أما زالت تحتفظ بحسنها ؟ ..

كانت تصنع إجابات وهمية لأسئلتها ، دون أن تحاول البحث عن الأجوبة الحقيقية ..

ثلاث سنوات وهى تدور فى هذا الخيال ، دون أن يفصح قلبها عن أعماقها ..

ثلاث سنوات وهى تزداد غوصاً فى أمواج عينيه الحزينتين ، وتزداد تعلقاً به ، وحبًّا له ..

ثلاث سنوات و ......

قطع ذكرياتها صوت حاد يقول فى لهجة أقرب إلى العصبية :

– ماذا أصابك؟ .. إننى أتحدث إليك منذ دقيقة كاملة.

ارتجف جسدها ، وكأنها قد فوجئت بالصوت ، ورفعت عينيها إلى صاحبة الصوت فى سرعة ..

كانت تقف أمامها سيدة فى منتصف الثلاثينات ، ولكنها ما تزال تحتفظ بجمال نادر ، وجاذبية رائعة ..

شعرها الأحمر يتألق تحت ضوء الحجرة ، على الرغم من تلك التصفيفة المعقدة التى يبدو عليها ..

عيناها فى لون الذهب حينما يختلط بماء البحر ..

أنفها دقيق أنيق ، يمتد مستقيماً بين عينيها ..

فهى آية من معجزات الخالق فى جماله وطراوته ..

انتاب (حنان) شعور غامض بالقلق ، وهى تتأمل ملامح السيدة ، وتقول فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

– معذرةيا سيدتى ، كنت أراجع بعض الأوراق و ..

قاطعتها السيدة وهى تقول فى عجرفة :

— لا بأس .. أخبرى مديرك أننى أريد مقابلته .

تملكتها رغبة شديدة فى مقابلة هذه العجرفة بمثلها ، فأشاحت بوجهها وهى تقول :

— هل هناك موعد سابق ؟

قالت السيدة بمزيد من العجرفة :

— لا يشغلنك هذا الأمر .. أخبريه اسمى وأؤكد لك أنه لن يرفض مقابلتى ..

تضاعف شعور (حنان) بالقلق وهى تسألها :

— اسمك ؟ !

رفعت السيدة رأسها فى غرور وخيلاء ، وقالت من بين أسنانها :

— قولى له إن (نجوى) تطلب مقابلته .. (نجوى حماد) .



٢ — اللقـاء ..

ظهرت (نجوى حماد) مرة ثانية ...

عادت إلى حياة (سامح) فجأة ، بعد أن كادت (حنان) تتصور أن القصة التى قصتها (هدى) مجرد خيال محض ...

اختفت كل الصور التى صنعها خيالها لغريمتها ...

تلاشت دفعة واحدة وهى تتطلع فى إحباط إليها ..

كادت الدموع تقفز من عينيها وهى تتأمل جمال غريمتها الصارخ ..

نهضت فى آلية واستسلام ، وقد سيطر عليها شعور جارف بالحزن ، ودقت باب مكتب (سامح) فى هدوء كعادتها ، ثم دفعت الباب ، ودلفت إلى الداخل ..

تطلع إليها (سامح) فى دهشة ، وكذلك فعل المقاول البدين ، ولكنها لم تلحظ دهشتهما وهى تتقدم إلى المكتب ، وتقول فى صوت خرج شاحباً كوجهها :

— هناك سيدة تطلب مقابلتك ياسيدى .

ظهر الضيق فى عينيه وهو يتطلع إلى المقاول البدين معتذراً ، وسألها :

– لن يمكننى مقابلة أحد يا آنسة (حنان) ، إننى أتحدث مع السيد ...

قاطعته وهى تقول فى صوت خافت :

– إنها تدعى (نجوى حماد) .

هبطت روحهـا المعنوية إلى ما تحت الصفر ، حينما تألقت عيناه الفيروزيتان لأول مـرة ببريق الفـرح ، ولاحظت فى يأس أصابعه التى ارتجفت وهو يقول :

– أدخليها على الفور .

ثم استدار إلى المقاول البدين ، وقال فى لهفة لم يحاول إخفاءها :

– معذرة ياسيد (عطوان) ، إنه أمر بالغ الأهمية .

نهض المقاول البدين ، وقال فى سخرية ، لم يحاول إخفاءها أيضاً :

– بلا شك يا أستاذ (سامح) ، سنكمل حديثنا غداً بإذن الله .

كتمت (حنان) دموعها بصعوبة ، وهى تتحرك نحو

الباب ، وتتطلع إلى (نجوى) مرة أخرى ، ثم تشير إليها بالدخول ، وهى تقول فى صوت متحشرج :

– تفضلى ياسيدة (نجوى) .

ابتسمت (نجوى) فى ثقة وغرور ، واندفعت إلى حجرة (سامح) ، وسمعته (حنان) يقول فى لهفة وسعادة :

– مرحباً يا (نجوى) ، تفضلى بالجلوس ، لقد أنرت المكتب بقدومك .

أغلقت (حنان) باب الحجرة فى ضيق ، وتهاوت فوق مقعدها ، وتنبهت إلى أنها قد نسيت ارتداء منظارها الطبىّ ، فدفعته بكفها إلى حافة المكتب ، وأسرعت تلتقط منديلا ورقيًا ، تجفف به دموعها الغزيرة ، ثم أغلقت عينيها ، وهمست فى ألم :

– وداعاً ياحبى الذى كان ..

وبينما كانت (حنـان) تعيش قمـة أحزانهـا ، كان (سامح) فى ذروة سعادته وهو يفرك كفيه ، ويسـأل (نجوى) ، التى جلست أمامه فى ثقة :

– كيف حالك يا (نجوى) ..إنك لم تفقـدى ذرة واحدة من جمالك النادر طيلة كل هذه السنوات .

رفعت يدها تتحسس شعرها الأحمر فى خيلاء ، ثم قالت :

– إننى أتعب كثيراً للمحافظة عليه .

ساد الصمت بينهما لحظة ، وكلاهما يتأمل الآخر فى سكون ...

شعر (سامح) بأعماقه ترتجف ، وبنيران تضطرم فى قلبه ...

لم يكن يصدق أنها قد سعت إليه بعد كل هذه السنوات ...

كانت على نفس الصورة التى رآها عليها قبل زواجها ، باستثناء بعض التجاعيد الصغيرة حول عينيها ، وبعض البدانة التى أضيفت إلى وجهها ...

نفس الجمال والكبرياء والخيلاء ...

ابتسم فى شحوب ، وقال فى انفعال واضح :

– ماذا فعلت منذ زواجك ؟

أسبلت جفنيها الجميلين وهى تقول فى حزن :

– لقد توفى زوجى منذ ثلاثة شهور .

خفق قلبه فى شدة ، ولاحظ لأول مرة الثوب الأسود الذى ترتديه ، فغمغم فى ارتباك :

– البقاء لله وحده .

وتردد لحظة قبل أن يسألها :

– هل .. هل لديك أبناء ؟

ابتسمت حينما فهمت مغزى سؤاله ، وتطلعت إلى عينيه وهى تقول فى بطء :

– كان زوجى – رحمه الله – عقيماً .

شعر بالارتياح لإجابتها ، وانتابته سعادة غامضة ، وتملكه فضول عنيف لمعرفة سبب هذه الزيارة بعد خمسة عشر عاماً من الانقطاع ..

لم يحاول مرة واحدة البحث عنها طوال هذه الأعوام ..

كان يحاول إقناع عقله بنسيانها ، ولكن قلبه أبى عليه ذلك ..

وهناك جزء من نفسه كان يخشى البحث عنها ، ربما لأنه ظل يحبها كل هذه الأعوام ، بل إنه يعزو نشاطه ، وتفوقه ، ونجاحه إلى رغبته فى إثبات سوء تقديرها ، حينما رفضته من أجل المال ..

احتمل كل هذا التعب من أجل من رفضته ..

وها هى ذى الآن أمامه ، بعد أن نهل من نبع النجاح ، واغتسل فى نهر الثراء ..

مال نحوها ، وتألق السؤال فى عينيه ، دون أن يجرؤ على نقله إلى شفتيه ، ولكن (نجوى) فهمت ما يريد ، فابتسمت ابتسامة جذابة ، وقالت فى صوت يلوح فيه الحزن :

– أنت تعلم أنهم أجبرونى على الزواج من (أنور) بسبب ثرائه .

كان يعلم أنها كاذبة ، وأنها قد اختارت (أنور) بمحض إرادتها ، ولكنه ارتاح لتبريرها ، ولم يحاول اعتراضها ، بل واصل إصغاءه إليها وهى تستطرد :

– لقد كان ثريًّا وسخيًّا ، لم يرفض لى مطلباً طيلة زواجنا ، حتى عندما كانت مطالبى تفوق حدود الثراء ، لم يكن يتردد فى تنفيذها .

صمتت لحظة ، وكأنها تستعيد ذكرياتها مع زوجها الراحل ، ثم واصلت قائلة :

– كان كريماً إلى حد أنه لم يلتفت للمستقبل ،

وكنت أظن أنه يحاول بذلك تعويض عدم قدرته على الإنجاب ، ولم يضايقنى ذلك .. لم أجد حتى وقتاً للتفكير فى الإنجاب وسط السهرات والمتع ، ورحلاتنا إلى أوربا وأمريكا .

تنهدت على نحو آثار غيرته وهى تتابع :

– لقد طفنا العالم معاً .

التقطت منديلها من حقيبتها الأنيقة ، وجففت به دمعة وهمية ، ثم تابعت :

– وفجأة فقدته ، فقدت زوجى ، وكل شىء ..

أراد أن ينطق بعبارة تعزية للمجاملة ، ولكن لسانه عجز عن الحركة ، فاكتفى بالاستماع إليها وهى تقول :

– كشفت بعد وفاة زوجى أنه لم يعد يملك شيئاً ، لقد كنا ننفق المال بأسرع مما يكسبه ، حتى أنه اضطر قبل وفاته إلى بيع كل ما يملك ، ومات وأنا لا أملك حتى السيارة التى أقودها .. تركنى معدمة تماماً .

جاهد حتى يمنع الدموع من القفز إلى عينيه ، وقال فى صوت متحشرج :

– كلى تحت أمرك يا (نجوى) .

ابتسمت ابتسامة واثقة ، وكأنها كانت تعلم ما سينتهى إليه الأمر ، وقالت فى صوت يفيض بالإغراء :

– إننى أطلب مطلباً هيناً ..

صاح فى حماس :

– كل مطالبك مجابة .

عادت تبتسم نفس الابتسامة الواثقة ، وهى تقول فى بطء :

– أريد وظيفة محترمة فى شركتك .

رقص قلبه طرباً ، واتسعت ابتسامته لتشمل وجهه كله وهو يقول :

– فقط !!

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، وقال :

– آنسة (حنان) ، أريدك فى مكتبى على الفور .

دخلت (حنـــان) إلى مكتبه فى خطوات بطيئة ، وأخذت تنقل عينيها بينه وبين (نجوى) ، التى تطلعت إليها فى اهتمام ، وكأنها تقرأ أفكارها ، ثم قال (سامح) :

– أعدى أمراً بتعيين السيدة (نجوى حماد) مديرة لقسم التخطيط بالشركة .

تألقت عينـا (نجـوى) ببريق لم يخف على عينى (حنان) ، التى قالت فى ضعف :

– ولكن المهندس (سعيد) ..

قاطعها (سامح) فى صرامة :

– عليك تنفيذ أوامرى دون مناقشة يا آنسة (حنان) .

إزداد بريق الظفر فى عينى (نجوى) ، وارتسمت على شفتيهـا ابتسامة تجمـع بين السخرية والاستهانة والفوز ، وشعرت (حنان) بغضب يعصف بقلبها حتى أنها لم تعد تحتمل البقاء ، فاستدارت تغادر الحجرة وهى تقول :

– كما تأمر يا سيدى .

ولم تكد تغلق الباب خلفهـا ، حتى أطلقت العنان لدموعها ، فلم يعد أمامها سوى الاعتراف بأن غريمتها قد فازت ، بعد اللقاء الأول .



٣ ـ الوعيد ..

تبدلت كل الأحوال فى الشركة منذ انضمام (نجوى) إليها ..

لم يعد (سامح) حزيناً صارماً كسابق عهده ..

أصبح أكثر مرحاً وتساهلا ...

لم يعد صاحب الكلمة العليا فى الشركة ، بل أطلق العنان لـ (نجوى) ، ومنحها العديد من السلطات ..

و (نجوى) تعشق السلطة ، ولكنها لا تجيد ممارستها ..

ففى أعماقها ديكتاتور كامن أطلقته السطوة ..

تجاوزت أوامرها قسم التخطيط إلى أقسام المتابعة والتنفيذ ، وجأر موظفو الشركة بالشكوى من روح الاستبداد فى أعماقها ..

و (سامح) لا يعترض ..

إنه يبدو سعيداً ، كما لو أن إطلاقه العنان لاستبدادها سينعش حبهما القديم ..

واحدة فقط أفادت من هذا الأسلوب الجديد ..

(هدى) ..

فبحكم صداقتها وجيرتها القديمة لـ (نجوى) ، كانت تلك الأخيرة تعدها ذراعها اليمنى ، وناقلة الأسرار فى الشركة ..

وكانت لقاءاتهما تزداد كثيراً فى مكتب (نجوى) ، حيث تنقل إليها (هدى) كل ما يردده الموظفون عنها ، وتستمع إليها (نجوى) فى اهتمام ، ثم تبدأ فى اتخاذ إجراءاتها الانتقامية ..

يقولون إن الطيور على أشكالها تقع ، وصداقة (نجوى) و(هدى) خير تأكيد لهذا القول ، فكلتاهما وصولية حاقدة .. وكلتاهما خبيثة ماكرة ..

وكان حديثهما فى ذلك اليوم يدور حول (حنان) ..

كانت (نجوى) تقول فى غضب :

ـ ماذا تظن نفسها هذه السخيفة ؟ .. إنها مجرد سكرتيرة عادية .

قالت (هدى) فى خبث ، وكأنها تتعمد إشعال غضب (نجوى) :

ـ ولكنها سكرتيرة المدير العام وصاحب الشركة شخصيًّا .

عقدت (نجوى) حاجبيها ، وعبثت بخصلات شعرها الأحمر فى عصبية ، وقالت :

ـ هذا لا يعطيها حق رفض أوامرى .

سألتها (هدى) فى فضول :

ـ ماذا حدث بينكما بالضبط ؟

عادت (نجوى) تعبث بخصلات شعرها فى عصبية ، وقالت :

ـ طلبت منها صباح اليوم أن تنسخ لى بعض التقارير على الآلة الكاتبة ، ولكنها رفضت فى وقاحة ، وطلبت منى نسخها فى قسم التخطيط ، بحجة أنه لا وقت لديها .

شهقت (هدى) بحركة مفتعلة وهى تهتف :

ـ ماذا فعلت إزاء وقاحتها هذه ؟

قالت (نجوى) فى توتر :

ـ صرخت فى وجهها أنها لا بد وأن تطيع أوامرى ، ولكنها أجابتنى فى صفاقة أنها لا تطيع سوى أوامر المدير فقط .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتى (هدى) وهى تسألها :

ـ وما رأى الأستاذ (سامح) ؟

أجابتها (نجوى) فى ضيق :

ـ إننى لم أخبره بعد .

سألتها (هدى) فى لهفة :

ـ لماذا ؟

ترددت (نجوى) لحظة ، ثم قالت :

ـ هذه الوقحة تحبه ، لقد قرأت هذا فى عينيها منذ لقائنا الأول .

ازداد فضول (هدى) وهى تسألها فى لهفة :

ـ وماذا يمنعك من إخباره على الرغم من هذا ؟

مطت (نجوى) شفتيها الجميلتين ، وقالت :

ـ لست أعلم إذا ما كان يبادلها الشعور نفسه أم لا ..

مالت (هدى) نحوها ، وهمست فى تزلف :

ـ إنه لا يعشق سواك .

ارتسمت ابتسامة متلهفة على شفتى (نجوى) وهى تقول :

ـ أحقًا ؟

أجابتها (هدى) فى ثقة :

- لا مجال للشك .. أرأيت كيف أنه تبدل تماماً منذ عودتك إليه ، لقد اختفت صرامته ، وأطلق لك العنان فى كل شىء ، ولم يعترض يوماً على أسلوبك ، على الرغم من أنه يخالف أسلوبه تماماً .

عاد بريق الظفر إلى عينى (نجوى) ، وقالت فى حماس :

- فى هذه الحالة سأطلب منه أن يفصلها و ...

قاطعتها (هدى) فى هدوء :

- خطأ ..

تطلعت إليها (نجوى) فى عصبية ، وقالت :

- أى خطأ فى هذا ؟

انحنت (هدى) نحوها ، وقالت فى خبث :

- صحيح أنك تكبريننى بسبع سنوات ، إلا أن خبرتى فى التعامل تفوق خبرتك كثيراً ..

شعرت (نجوى) بالضيق حينما ذكرتها (هدى) بسنها ، ولكنها لم تعترض ، واستمعت إلى (هدى) وهى تستطرد :

- إن (حنان) سكرتيرة نشطة ، والأستاذ (سامح)

يعاملها معاملة خاصة .. صحيح أن علاقتهما لا تتجاوز علاقة مدير بسكرتيرة نشطة ، إلا أن مثل هذه العلاقة لا تلبث أن تتحول إلى نوع من الاعتياد هو أقرب إلى الحب ..

ازداد توتر (نجوى) وهى تسألها :

- ماذا تعنين ؟

ابتسمت (هدى) فى خبث ، وقالت :

- أعنى أنك لو طلبت هذا من الأستاذ (سامح) ، فستجعلينه ينتبه أكثر إلى (حنان) ، وربما كشف حينئذ أنه يحبها .

ظهرت الحيرة فى عينى (نجوى) ، على حين بادرتها (هدى) بسؤال مفاجئ :

- هل تفكرين فى الزواج من الأستاذ (سامح) ؟

كان السؤال مباغتاً ، حتى أن (نجوى) تطلعت إلى (هدى) فى دهشة طويلا ، قبل أن تقول فى ضيق :

- إنه لم يطلب الزواج منى بعد .

أسرعت (هدى) تقول :

- ربما لأنك لم تمنحيه الفرصة .

سألتها فى لهفة :

- وكيف أفعل ؟

أجابتها :

- إنه يحبك ولا شك ، ولكنه ربما يخشى طلبك للزواج خشية رفضك للمرة الثانية ، ولكنه لو شعر برغبتك فى ذلك فسيتغير الأمر .

سرحت (نجوى) ببصرها لحظة ، فأسرعت (هدى) تقول :

- أنت تحبينه ، أليس كذلك ؟

هزت (نجوى) كتفيها ، وقالت :

- الزواج من رجل مثله يؤمن الثراء والأمان .

ثم نهضت من مقعدها ، وقالت :

- يبدو أننى قد توصلت إلى أسلوب إبعاد (حنان) هذه يا (هدى) .

وأسرعت تغادر حجرتها قبل أن تشبع فضول (هدى) ، وتحركت فى خطوات سريعة إلى حجرة (حنان) ، واندفعت داخلها دون استئذان ، ثم تجاهلت

(حنان) تماماً ، وأسرعت إلى باب مكتب (سامح) ، ولكن (حنان) أوقفتها صائحة :

- مهلا يا سيدة (نجوى) ، إن الأستاذ (سامح) لن يستقبل زائرين الآن .

استدارت إليها (نجوى) فى حنق ، وتركت مقبض الباب ، وتوجهت إليها فى عصبية ، ثم قالت فى حدة :

- اسمعى أيتها المتحذلقة ، إنك لا تملكين حق منعى من الدخول .

قالت (حنان) فى صرامة :

- بل أملك هذا بالطبع ، وأتقاضى أجرى مقابله .

احتقن وجه (نجوى) وهى تقول فى غضب :

- هل بلغت وقاحتك إلى هذا الحد ؟

عدلت (حنان) وضع منظارها الطبى ، وبذلت مجهوداً جباراً للسيطرة على أعصابها وهى تقول :

- أنا لا أسمح لك بإهانتى .

ضحكت (نجوى) على نحو يوحى بالسخرية والتوتر ، وقالت فى عصبية :

- أنت لا تسمحين لى ؟! .. يا لها من مهزلة !!

ثم انحنت نحوها وأردفت فى صرامة :

ـ اسمعى أيتها السخيفة ، لن يمضى وقت قليل حتى نصبح أنا ورئيسك زوجين ، ولو أنك لم تحسنى علاقتك بى هذه الأيام ، فسأعمل على فصلك حينذاك .

تطلعت إليها (حنان) فى ذهول ، فقد كان الخبر محطماً لها تماماً ..

سيتزوج حبيبها من تلك المغرورة ..

ستفقد حبها الأول دون أن تجرؤ على المقاومة ..

لم يرهبها وعيد (نجوى) ، ولكن حطمها الخبر الذى نقلته إليها ..

حمدت الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأول مرة على منظارها الطبى ، الذى أخفى دموع القهر فى عينيها ، وأشاحت بوجهها حتى لا تلحظ غريمتها تلك الدموع وهى تنهمر على وجنتيها ، ودفعها اليأس إلى أن تقول فى صوت مختنق :

ـ افعلى ما بدا لك .

تصاعدت الدماء إلى وجه (نجوى) ، حتى صار من

الشاق التمييز بين الحد الفاصل ما بين وجهها وشعرها الأحمر من فرط الغضب ، وقالت فى حدة :

ـ إذن فأنت تستهينين بما أقول ، ولكن تذكرى أننى قد حذرتك .

لم تجبها (حنان) ، ربما لأنها خشيت أن تنفجر بالبكاء إذا ما فتحت شفتيها لتنطق كلمة واحدة ، وتصورت (نجوى) صمتها نوعاً من المكابرة ، فقالت فى حنق :

ـ سنرى أيتها المغرورة ..

ثم استدارت وأسرعت تغادر الحجرة وتصفق الباب خلفها فى غضب .. وحينئذ فقط انفجرت (حنان) بالبكاء ، واسألت الدموع من عينيها أنهاراً ، وزاد نحيبها وكأنها تبكى حبها الضائع ، وأحلامها المنهارة .



٤ ـ النصيحة ..

عادت (حنان) إلى منزلها فى أسوأ حالاتها ، واستقبلتها شقيقتها الصغرى (غادة) فى مرح كعادتها ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بما أصاب شقيقتها ، فسألتها فى قلق :

ـ ماذا بك يا (حنان) ؟ إنك تبدين كما لو أنك فقدت عزيزاً .

انفجرت (حنان) فجأة بالبكاء ، كأنها كانت تنتظر هذا السؤال ، فصاحت (غادة) فى قلق متزايد ، وهى تجذبها إلى حجرتها :

ـ رويدك يا (حنان) ، حتى لا يشعر أبى أو أمى بما أصابك ، هيا بنا إلى حجرتى ، وستقصين على كل شىء .

ظلت (حنان) تبكى طويلا فى حجرة شقيقتها الوحيدة ، دون أن تحاول هذه الأخيرة منعها ، حتى تأكدت من أنها قد أفرغت كل حزنها ، فاقتربت منها ، وجففت دموعها بأناملها وهى تسألها فى محبة :

ـ هل يضايقك أن تقصى علىّ سبب حزنك الجارف هذا ؟

أجابتها (حنان) بكلمة واحدة تعنى لها الكثير :

ـ (سامح) ..

عقدت (غادة) حاجبيها وهى تسألها فى اهتمام يمتزج بالقلق :

ـ ماذا أصابه ؟

أجابتها (حنان) فى صوت منتحب :

ـ سيتزوج (نجوى) .

سألتها فى دهشة :

ـ من (نجوى) هذه ؟ .. وماذا يعنيك من أمر زواجهما ؟

ثم ارتفع حاجباها ، واتسعت عيناها ، حينما فهمت إجابة سؤالها ، وهتفت :

ـ يا إلهى !! (حنان) .. إنك تحبين الأستاذ (سامح) .

أومأت (حنان) برأسها إيجاباً ، دون أن تنبس بحرف واحد ، فأحاطت شقيقتها كتفيها فى حنو ، وهتفت :

ـ يا لك من كتومة !! إنك تتحدثين عنه منذ ثلاث سنوات ، دون أن ألحظ عشقك له ، ترى هل يعلم به ؟

هزت (حنان) رأسها نفياً ، وسالت الدموع صامتة على وجنتيها ، فعقدت (غادة) حاجبيها ، وقالت :

– إنه حب من طرف واحد إذن .. كيف تورطت فى مثل هذا الحب اليائس ؟

انطلقت (حنان) تقص عليها الأمر بأكمله ، منذ أول لقاء لها مع (سامح) ، واستمعت إليها (غادة) فى صمت واهتمام ، حتى انتهت من ذكر تفاصيل حديثها مع (نجوى) ..

خيم الصمت طويلا قبل أن تقول (غادة) :

– هذا الرجل لا يستحق كل هذا الحب الذى تمنحينه إياه .

رفعت إليها (حنان) عينيها الباكيتين ، وهتفت فى عتاب :

– (غادة) !!

قالت (غادة) فى تحد :

– إنه كذلك بالفعل ، فالرجل الذى يتدله فى حب امرأة رفضته مسبقاً من أجل المال ، لا يستحق حبًّا جارفاً كحبك .

قالت (حنان) فى تردد ، وكأنها تدافع عن حبيبها :

– الحب الحقيقى لا تقتله العقبات .

استمر الحديث بينهما سريعاً متلاحقاً ، تغلبت عليه روح العناد حينما قالت (غادة) :

– والحب الحقيقى لا ينهار من أجل المال أيضاً .

– إنه يحبها .

– كلاً .. إنه يحاول إثبات تفوقه ليس إلاً .

– إنه لا يحتاج إلى إثبات تفوقه .

– بل يحتاج إلى ذلك كثيراً ، وسيحققه بالزواج من المرأة التى رفضته قديماً .

– لا أحد يتزوج من أجل إثبات التفوق فقط .

– كثيرون يفعلون هذا .

– ليس (سامح) هكذا .

– هل تراهنين ؟

توقف الحديث عند هذه النقطة ، فلم يكن باستطاعة (حنان) التأكد من السبب الحقيقى لزواج (سامح) من (نجوى) ..

إنها تتمنى من أعماقها أن يكون إثبات التفوق هو

السبب الوحيد ، فهى لا تحتمل حبه لأخرى ، حتى ولو كانت (نجوى) ..

تذكرت حينئذ جمال (نجوى) الصارخ ، فقالت فى يأس :

– إنها بارعة الحسن .

هزت (غادة) كتفيها ، وقالت فى استهتار :

– الرجال لا يتزوجون الجميلات فقط .

ثم أردفت فى جدية :

– لو أن الجمال هو المقياس الوحيد للزواج لبارت نصف نساء الأرض، فهناك أنواع أخرى من الجمال تكمن فى أعماق المرأة ، كوفائها وطيبتها ، ومرحها وإخلاصها ، وكل رجل على وجه الأرض يبحث عن واحد من أوجه الجمال هذه ، وعادة ما يكون هذا الوجه هو ما يفتقده فى تعاملاته كثيراً .

جذب حديث (غادة) انتباه (حنان) ، حتى أنها أصغت إليها فى اهتمام وهى تستطرد :

– فالرجل السطحى وحده هو الذى يسعى خلف

جمال الوجه والجسد ، أما الرجل العاقل فيبحث عن امرأة وفية مخلصة ، تتخلى عن العالم من أجله ، وتظل مخلصة له طيلة حياتها ، دون أن تطمع فى أكثر من حبه وحنانه .

حركت (حنان) رأسها فى ضيق وهى تقول :

– لا فائدة لكل هذا الحديث ، إنه سيتزوجها .

ساد الصمت لحظة ، ثم هتفت (غادة) وكأنها توصلت إلى حقيقة جديدة :

– هل أعلن الأستاذ (سامح) خبر الزواج هذا ؟

تطلعت إليها (حنان) فى حيرة ، وقالت فى تردد :

– ربما ينتظر اللحظة المناسبة .

قفزت (غادة) من مكانها ، وقالت فى حماس :

– وربما كانت مجرد مناورة من (نجوى) .

نظرت إليها (حنان) فى دهشة ، وغمغمت :

– هل يصل بها الأمر إلى هذا الحد ؟

جذبتها (غادة) من معصمها ، وأجبرتها على الوقوف أمام المرآة وهى تقول :

– ليس هناك ما يمنع ، وأنت تساعدينها فى ذلك .

هتفت فى استنكار :

– أساعدها ؟ !

قالت (غادة) وهى تشير إلى المرآة :

– انظرى إلى ما تفعلينه بنفسك ، هل يعجبك وجهك هكذا ؟

أدهشها سؤال شقيقتها ، فباستثناء بعض الشحوب ، لم يكن وجهها يختلف كثيراً عما اعتادته ، فسألتها فى حيرة :

– ماذا به ؟ .. لم يختلف فيه شىء .

رفعت (غادة) سبابتها أمام وجهها ، وقالت :

– هذا هو الخطأ بعينه .

ثم أردفت وهى تلمح الحيرة والتساؤل فى عينى (حنان) :

– إنك تلتزمين مظهراً بالغ الجدية ، شديد الصرامة ، ما الذى يعجبك فى هذا المنظار بالله عليك ؟

غمغمت (حنان) فى اعتراض متخاذل :

– لا يمكننى الرؤية بدونه .

صاحت (غادة) وهى تنزع المنظار عن عينى شقيقتها :

– فلتذهب الرؤية إلى الجحيم ، المهم هو المظهر الجميل .

انتزعت (حنان) المنظار من يد شقيقتها فى خشونة ، وقالت :

– لن أتخلى عن منظارى من أجله ، فليحبنى كما أنا وإلا فلا .

قالت (غادة) فى عناد :

– لا تتصرفى كالأطفال ، إننا نقاتل امرأة تعتمد على الجمال وحده .

صاحت (حنان) فى ضيق :

– لن أهبط إلى مستواها وأسلوبها ، ثم إننى لا أحب إطلاق لفظ القتال على حالة حب ، فهما يتعارضان تماماً .

هزت (غادة) رأسها وقالت :

– لست أرى فارقاً بينهما ، فهذا قتال وذاك قتال .. صحيح أن الأسلحة تختلف فى الحالين ، ولكن كلا منهما صراع من أجل الحصول على شىء ما .

ترددت (حنان) وهى تتأمل وجهها فى المرآة دون المنظار ، ثم قالت فى تخاذل :

– هل تظنين أن شكلى سيختلف كثيراً لو تخليت عن منظارى ؟

ضحكت (غادة) وهى تقول :

– بالطبع .. ثم إننا سنضيف بعض لمسات (المكياج) وتغيير طريقة تصفيف الشعر .

ثم أردفت وهى تمر على رأس شقيقتها :

– أراهن أنك ستبهرينه حتى أنه لن يلتفت إلى (نجوى) هذه مرة أخرى .

خفق قلبها وهى تتصوره يتأملها فى إعجاب ، وتملكتها الفكرة حتى وجدت نفسها تهتف فى حماس :

– حسناً يا (غادة) .. سأتبع كل نصائحك .



ألقت (حنان) نظرة أخيرة على وجهها فى المرآة ، قبل أن تغادر منزلها إلى الشركة ، ورقص قلبها فرحاً ، حينما لاحظت ذلك التبدل الكبير فى ملامحها ، بعد اللمسات الجمالية التى أضافتها إليها (غادة) ..

كانت قد أعادت تصفيف شعرها بشكل أكثر أنوثة ، وأضافت بعض الظلال إلى جفونها ، وقليلا من أحمر شفاه وردىّ إلى شفتيها ، وتدلى من أذنيها قرط ماسى أضيف بريقه إلى لمعان عينيها ، فبدت وكأنها تتألق جمالا ، كما حرَصَتَ على ارتداء ثوب زاهى الألوان أضفى عليها مظهراً أكثر مرحاً ، وأقل تزمُّتاً ..

ازدادت ثقتها بنفسها بعد ذلك المظهر الأنثوى الجذاب ، وتملكها شعور قوى بأنها قادرة على هزيمة (نجوى) فى معركة الحب ..

بدت مختلفة تماماً وهى تعبر بوابة الشركة ، حتى أن حارس الأمن هناك أطلق من بين شفتيه المضمومتين صفير إعجاب ، ثم هتف فى دهشة :

– صباح الخير يا آنسة (حنان) ، إنك تبدين رائعة الجمال هذا الصباح .

أسعدها إطراؤه حتى أنها قفزت سلالم الشركة فى خفة ومرح ، ولأول مرة فى حياتها لحقتها نظرات الإعجاب ، وعبارات الإطراء ..

زاد هذا من ثقتها بنفسها ، ولامت نفسها كثيراً على أنها لم تفعل ذلك منذ البداية ..

لم يكن إطراؤهم بقادر على منحها ما تسعى إليه ..

كان هو وحده الذى يعنيها ...

تمنت لو أنه لاحظ التبدل الكامل فى هيئتها ..

تمنت أن ترى فى عينيه الفيروزيتين بريق الإعجاب ، وأن تسمع من بين شفتيه كلمات الإطراء ..

توجهت من فورها إلى مكتبه ، واندفعت إلى الداخل وهى تقول فى مرح :

– صباح الخير يا أستاذ (سامح) .

تجمدت الكلمات على شفتيها ، وانهارت ثقتها دفعة واحدة ، حينما وقع بصرها على (نجوى) وهى تجلس إلى جواره ..

كانت (نجوى) صورة كاملة للجمال بأبهى صورة هذا الصباح ..

كان وجهها متألقاً كالبدر ..

شعرها الأحمر الجميل مصفف فى إغراء ..

عيناها الذهبيتان تبرقان بالحيوية والنشاط ..

شفتاها تلمعان بلون قرمزى شديد الإبهار ..

ثوبها الأحمر يشترك مع شعرها وبشرتها فى صنع صورة للإغراء ، يدير رأس أشد الرجال اتزاناً ..

تجمدت الكلمات فوق شفتى (حنان) حينما رأت تلك النظرات الوالهة ، التى تطل من عينى (سامح) وهو يتأمل (نجوى) ..

لاحظت (نجوى) التبدل الكامل فى هيئة (حنان) ..

نمّ التقاء حاجبيها ، والغضب فى ملامحها عن ذلك ..

أما (سامح) فلم ير شيئاً ..

كانت (نجوى) تملأ عقله ، وتستولى على حواسه ، حتى لم يعد يرى سواها ..

كل ما فعله هو أن قال دون أن يلتفت إلى (حنان) :

– صباح الخير يا آنسة (حنان) .

غص حلق (حنان) بدموع بائسة ، وسألته فى صوت متحشرج :

– هل هناك ما تريده ياسيدى ؟

أجابها دون أن يرفع عينيه عن (نجوى) :

– سأطلبك حينما أحتاج شيئاً يا آنسة ((نجوى)) .

تراجعت ، وأغلقت الباب خلفها فى حنق ، وألقت نفسها فوق مقعدها ...

لم تستطع البكاء هذه المرة ..

كانت تشعر بإحباط لم تشعر بمثله من قبل ..

إنه لم يحاول إلقاء نظرة واحدة عليها ، بعد كل ما فعلته من أجله ..

تضاعف كرهها لـ (نجوى) ، وغضبها من أسلوبها الوصولى المتزلف ..

كرهت حتى ذلك التبدل الذى أجرته فى ملامحها ..

أخرجت منظارها الطبى من حقيبتها فى عصبية ، ووضعته فوق عينيها .

نزعت القرط الماسى من أذنيها فى ضيق ، وكأنها تحاول العودة إلى ملامحها القديمة ..

دفنت وجهها بين الأوراق ، وحاولت أن تفرغ سخطها فى الأوراق ، ولكن كل سطر تسطره كان يذكرها به ..

ألقت القلم ، وعادت تخلع منظارها الطبى ، وتسند ذقنها إلى راحتها ، وتساءلت عما تفعله (نجوى) الآن فى حجرة (سامح) ..

لم تجد جواباً شافياً ، ولكنها كانت موقنة من أنها لا تفعل شيئاً طيباً ، فالأفعى لا تنفث شهداً ..

كانت محقة فى تصورها هذا ، ففى حجرة (سامح) كانت (نجوى) تقول فى لهجة مغرية ، وهى تبتسم ابتسامتها الجذابة :

– العمل فى قسم التخطيط ممتع يا (سامح) ، ولكننى أريد عملا يجعلنى أكثر قرباً منك .

سألها وقد خفق قلبه فى لهفة :

– وكيف يتأتى ذلك ؟

اقتربت منه فى دلال ، وعبثت بأناملها فى رباط عنقه الأنيق وهى تقول فى همس :

– ما رأيك أن أنتقل للعمل سكرتيرة لك ؟

هتف فى دهشة :

– و (حنان) ؟

قالت فى عصبية لم تستطع إخفاءها :

– ما سر تمسكك بهذه السخيفة ؟

قال فى حيرة :

– إنها سكرتيرة نشطة ، وتجيد عملها فى إخلاص .

هتفت فى حدة :

– كل السكرتيرات هكذا .

قلب كفيه فى حيرة ، وقال :

– ولكن عملاءنا جميعاً يحسدوننى عليها ، ويقولون إنها أفضل سكرتيرة تعاملوا معها .

أشاحت عنه بوجهها ، وكأنها تعلن رفضها حجته ، وقالت :

– مجرد مجاملة سخيفة .

أسرع يقول وقد وجد حجة جديدة :

– ولكن منصبك مديرة لقسم التخطيط يفوق منصب السكرتيرة كثيراً .

عادت تقترب منه ، وقد أودعت شفتيها أكثر ابتساماتها إغراء وجاذبية ، وقالت :

– المناصب لا تعنينى كثيراً يا (سامح) ، المهم أن أبقى بقربك طوال الوقت .

بعثت عبارتها نشوة جارفة فى أعماقه ، وانتقلت تلك النشوة إلى عينيه الفيروزيتين ، فزادتهما بريقاً وهو يهمس :

– أحقًا يا (نجوى) ؟

ابتعدت عنه فى دلال وهى تقول :

– هل تشك فى ذلك ؟

خدَّر دلالها عقله ...

أنساه خيانتها له منذ خمسة عشر عاماً ..

لم يعد يذكر سوى لهفتها الزائفة ، وحبها المصطنع ...

ازداد خفقان قلبه وهو يتطلع إليها ، وجف حلقه وهو يتأمل مفاتنها ..

كاد يطلب منها أن تقبله زوجاً ..

ولكن شيئاً ما فى أعماقه ألجم لسانه ..

تحذير ما أطلقته خلايا عقله فى أعماقه ..

حاول أن يقاوم هذا التحذير ، ويعانده ..

ولكن عقله الباطن أطلق تحذيراً مماثلا ، واشترك التحذيران فى منع الكلمات من الوصول إلى شفتيه ، فغمغم فى استسلام :

ــ أنا أيضاً أفضل وجودك إلى جوارى يا (نجوى) .

تألق بريق الظفر فى عينيها وهى تنتزع منه هذا الاعتراف ، وندت من بين شفتيها تنهيدة ارتياح قوية ..

كانت قد أعدت هذه الخطة الجهنمية بمعاونة (هدى) فى مكتبها ..

لم تحاول أن تطلب منه إقصاء (حنان) بلا سبب ..

جعلت السبب الحقيقى هو رغبتها فى البقاء إلى جواره ..

صنعت من نفسها عاشقة تضحى بالمناصب من أجله .

رسمت حولها لوحة من المحبة والإخلاص ..

وزينت اللوحة بدم (حنان) ..

ولم يلحظ هو ما تهدف إليه ..

أعماه حبه وخدعته لهفته ..

اقتربت هى منه ، وقالت فى لهفة :

ــ صلو أمرك بتعيينى سكرتيرة لك .

تردد لحظة ، ثم سألها فى تخاذل :

ــ وماذا أفعل بـ (حنان) ؟

لوحت بكفها وهى تقول فى حدة :

ــ افصلها ..

عقد حاجبيه وهو يقول :

ــ لم أعتد هذا الأسلوب الذى ينطوى على الغدر .

ابتلعت إهانته غير المقصودة ، وقالت وهى تتظاهر باللامبالاة :

ــ يمكنك نقلها إلى قسم آخر .

صمت لحظة مفكراً ، ثم قال وكأنه يحدث نفسه :

ــ إلى أين ؟

هتفت فى لهفة :

ــ قسم المحاسبة مثلا ، إنه يلائم دراستها .

تردد لحظة قبل أن يقول كلمته ..

شعر ببعض الخجل فى أعماقه مما ينوى الإقدام عليه ..

راوده شعور بأنه سيفتقد (حنان) كثيراً ..

أدهشه هذا الشعور ، وأيقظ فى قلبه عدداً لا حصر له من التساؤلات ..

ارتبك حينما وصل إلى هذه النقطة من تفكيره ، فقال وكأنه يَئِد هذه الأفكار فى مهدها :

– فليكن ما تشائين يا (نجوى) .

ازداد بريق الظفر فى عينيها وهى تقول فى لهفة :

– وقع القرار إذن ، وسأخبرها به بنفسى .

وجدها فرصة للفرار من هذا الموقف ، فتناول قلمه فى استسلام ، وهو يقول فى صوت تغلب عليه رنة الأسف :

– فليكن يا (نجوى) .. فليكن .

لم تدر (حنان) شيئاً عما دار بين (نجوى) و (سامح) ، ولكن قلبها المرهف كان يشعر بالقلق ..

ازداد هذا الشعور حينما رأت (نجوى) تقف أمامها فى ثوبها الأحمر ..

تطلعت إليها بعينين متسائلتين دامعتين ..

بدت لها (نجوى) فى هذه اللحظة كالشيطان ، بذلك المزيج من درجات اللون الأحمر ، ما بين الصارخ على شفتيها ، واللامع على رأسها ..

أرجفتها ابتسامة (نجوى) التى تجمع بين الشماتة والظفر ..

لم تنبس ببنت شفة حينما مالت (نجوى) نحوها ، وقالت فى شماتة :

– هل يعجبك عمل السكرتيرة يا آنسة (حنان) ؟

ازدردت (حنان) لعابها الجاف ، ودق قلبها فى عنف ، على حين تابعت (نجوى) ، قائلة :

– ما رأيك فى الانتقال إلى قسم المحاسبة ؟

اتسعت عينا (حنان) وهى تقول فى صوت متحشرج .

– إننى أفضل عملى هنا .

أطلقت (نجوى) ضحكة ساخرة شامتة ، وقالت :

— سبق السيف العزل يا عزيزتى ، لقد وقع (سامح) قراراً بنقلك .

غمغمت (حنان) فى ذهول :

— نقلى ؟ !

لم تصدق ما سمعته أذناها للوهلة الأولى ..

تصورت لحظة أنها خدعة سخيفة من (نجوى) .

رفضت أن تصدق ذلك ..

تفجرت فى أعماقها ثورة مدمرة ..

كادت تقفز وتجذب (نجوى) من شعرها الأحمر فى غضب ..

ولكن ساقيها عجزتا عن الحركة ..

وذراعيها تصلبتا فى ذهول ..

وعينيها تحجرتا فى مقلتيهما ..

ألقت (نجوى) الورقة التى تحوى القرار ، وتوقيع (سامح) أمامها ، وقالت وهى تتأمل آثار خديعتها فى وجه (حنان) :

— لقد تم نقلك إلى قسم المحاسبة يا عزيزتى .

ثم رفعت رأسها فى خيلاء ، مستطردة :

— وأنا (نجوى حماد) السكرتيرة الجديدة لـ (سامح) بك .. وداعاً أيتها السكرتيرة القديمة .

وأردفت فى شماتة رهيبة :

— وداعاً .

• • •

٦ – الانهيار ..

عبرت (حنان) باب منزلها وهى ترتجف من فرط الانفعال والقهر ، وأسرعت شقيقتها (غادة) تستقبلها وهى تسألها فى لهفة :

– ماذا فعل ؟ .. أخبرينى بكل التفاصيل .

تنبهت إلى الحزن المحفور فى ملامحها ، فهتفت :

– يا إلهى ! ! ماذا حدث ؟

حاولت (حنان) أن تجيبها ، ولكن غصة فى حلقها منعتها من ذلك ، ولاحظت (غادة) ما أصاب شقيقتها الوحيدة ، فقالت وهى تجذبها إلى حجرتها :

– أنت بحاجة إلى حديث طويل .

سألتها (حنان) فى صوت متحشرج :

– هل عاد والدى من عمله ؟

أجابتها (غادة) على عجل :

– كلاً .. إنه لم يعد بعد ، ووالدتى منهمكة فى إعداد طعام الغذاء ..

أجلستها على طرف فراشها ، وجلست إلى جوارها ، وسألتها فى قلق :

– ألم تعجبه هيئتك الجديدة ؟

سالت الدموع على وجنتى (حنان) وهى تقول فى ألم :

– إنه لم يلق علىّ نظرة واحدة .

هتفت (غادة) فى دهشة :

– أهذا ما يؤلمك إلى هذا الحد ؟ .. إن يكن قد فعل اليوم ، فلا ريب أنه سيفعل غداً ، أو بعد غد .

ازداد انهمار الدموع من عينى (حنان) وهى تقول فى انهيار :

– إنه لن يرانى مرة ثانية .

تطلعت إليها (غادة) فى دهشة وتساؤل ، فأردفت (حنان) وهى تخفى وجهها بكفيها :

– لقد نقلنى إلى قسم المحاسبة .

رددت (غادة) فى ذهول :

– نقلك إلى قسم المحاسبة ؟ !

هتفت (حنان) وقد حل الغضب محل الحزن فى أعماقها :

– لقد فعل بسبب هذه اللعينة .

صمتت (غادة) لحظة ، وقالت :

– ما زلت أصر أن هذا الرجل لا يستحق حبك .

تفجرت (حنان) بالبكاء وهى تقول :

– ولكننى أحبه يا (غادة) .. أحبه .

صاحت (غادة) فى حنق :

– أى حب هذا الذى ترويه الدموع ؟

عاد الحديث بينهما إلى سرعته وعناده ، حينما قالت (حنان) فى استنكار :

– كل حب يرتوى بالدموع يا (غادة) .

– خطأ شائع .. الحب يرتوى بالسعادة والحنان والدفء .

– أنواع الحب تختلف .

– لا توجد أنواع للحب ، توجد فقط نوعيات من المحبين .

– (روميو) و (جوليت) سكبا أنهاراً من الدموع .

– وإلى أين انتهيا ؟ .. إلى قبرين رخاميين فى (فيرونا) .

– ولكن حبهما ظل مثلا إلى الآن ..

– إنهما لم يتمتعا به أيضاً ، عاشا عذابه ، وفقدا متعته .

– كانت متعتهما فى الحب ذاته .

– ربما ، لكن كلاً منهما كان يحب الآخر ، ولم يكن حبهما من طرف واحد .

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وشحب وجه (حنان) فى ضعف ، على حين عضت (غادة) شفتيها ندماً على ما تفوهت به ، وتضاعف ندمها ، حينما قالت (حنان) فى ألم وخفوت :

– صدقت يا (غادة) ، لم يكن حبهما من طرف واحد .

أحاطت (غادة) أختها بذراعيها ، وهمست فى أسف :

– إننى لم أقصد ذلك .

قالت (حنان) فى ألم :

– أعلم ذلك يا (غادة) ولكنك لم تكذبى .

ثم نهضت ، وواجهت مرآتها تتأمل ملامحها ، وقالت بعد فترة من الصمت :

– الحب من طرف واحد هو حب مصيره الفشل .

قالت (غادة) فى تخاذل ، وكأنها تحاول إصلاح ما أفسدته :

– إنك لم تفشلى بعد .

استدارت إليها (حنان) ، وتأملتها لحظة وقد استعادت هدوءها وصرامتها ، وقالت :

– لن أنتظر هذا ، سأترك لها الشركة كلها .

هتفت (غادة) فى دهشة :

– تتركين الشركة ؟ ! .. هذا هو الفشل بعينه .

وقفزت إلى جوار شقيقتها ، وقالت فى حماس :

– إنك هكذا تنسحبين من المعركة ، متنازلة عن هدفك لغريمتك .

– لقد انتصرت بالفعل .

– لقد ربحت جولة فحسب .

– لم يعد هناك أمل .

– ولم يعد هناك ما تخشينه أيضاً .

– لن أواصل قتالا خاسراً .

أمسكت (غادة) معصم أختها عند هذه النقطة ، ونظرت إلى عينيها مباشرة وهى تقول :

– صدقينى أنه ليس قتالا خاسراً ، فأمثال (نجوى) هذه سرعان ما تسقط أقنعتهم الزائفة ، ويبدون على حقيقتهم ، ولن يدوم هذا طويلا ، فانتصارها فى هذه الجولة سيفقدها الكثير من الحذر ، ولن تلبث أنيابها أن تبرز .

قالت (حنان) فى عناد :

– نقلى إلى قسم المحاسبة يعد نفياً .

هتفت (غادة) بلهجة أشد عناداً :

– استقالتك هى النفى بعينه .

قالت (حنان) فى يأس :

– إنها تخلب لبه تماماً ، ومن الأكرم لى أن أبتعد .

بدت لهجة (غادة) شديدة الحماس وهى تقول :

– بالعكس ، لقد ارتكبت خطأ سرعان ما تندم عليه أشد الندم .

التفتت إليها (حنان) فى دهشة ، وسألتها فى تردد :

– خطأ ؟ ! .. كيف ؟

ابتسمت (غادة) ، وقالت بلهجة العارف ببواطن الأمور :

– لقد اعتاد (سامح) عملك إلى جواره طوال السنوات الماضية ، حتى أنه لم يعد يلتفت إليك ، أما حينما يفتقد نشاطك وإخلاصك ، فالأمر يختلف .

غمغمت (حنان) فى شك :

– هل تظنين ذلك ؟

هتفت (غادة) فى حماس :

– بلا شك ، لقد أعطتنا تلك الأفعى بخديعتها المبرر الوحيد ليشعر (سامح) بك .

عادت (حنان) تكرر فى صوت يُشعر بالأمل :

– هل تظنين ذلك ؟

أومأت (غادة) برأسها إيجاباً ، وقالت :

– سترين أننى على حق ، هل نسيت أننى أدرس علم النفس فى الكلية ؟

عادت (حنان) تتطلع إلى وجهها فى المرآة ، وقد

راودها بعض الأمل ، وهمست وهى تعيد تصفيف خصلات شعرها الكستنائى القصير :

– ترين أنه من الأفضل أن أظل فى الشركة إذن ؟

هتفت (غادة) :

– بالطبع .

ثم وضعت كفها على كتف شقيقتها ، وقالت فى حنان :

– سيصنع الله – سبحانه وتعالى – ما هو أفضل للجميع ، وصدقينى إنه سيخسر كثيراً لو أنه فقدك ، وسيكون من سوء حظه أن يتزوج هذه الأفعى .

غمغمت (حنان) :

– نعم يا (غادة) ، سيفعل الله – سبحانه وتعالى – ما فيه خير الجميع .





٧ ـ الحنين ..

اندفعت (هدى) إلى حجرة (نجوى) الجديدة، وهى تهتف فى لهجة تقطر نفاقاً:

ـ يا للبدر الذى يضىء الحجرة !!

واحتضنتها وهى تستطرد فى خبث:

ـ أهنئك على نجاح الخطة يا عزيزتى.

ابتسمت (نجوى) فى خيلاء، وقالت وهى تداعب خصلات شعرها الأحمر كدأبها:

ـ لا أحد يمكنه الصمود أمامى إذا ما قررت الحصول على شىء يا (هدى).

ثم استطردت وهى تسألها فى لهفة:

ـ هل تسلمت (حنان) عملها فى قسم المحاسبة ؟

أومأت (هدى) برأسها إيجاباً، وقالت وهى تغمز بعينيها:

ـ إنها تعمل هناك منذ البارحة، ولكنها عادت إلى مظهرها القديم.

ابتسمت (نجوى) فى شماتة، وقالت وهى تمط شفتيها فى احتقار مصطنع:

ـ لست أدرى كيف أمكنها قبول الأمر بكل هذا الاستسلام ؟ .. ألا يحط من قدرها قبول عمل يقل عما كانت تؤديه مسبقاً.

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتى (هدى)، دون أن تعلق على عبارات (نجوى) ..

لم تحاول حتى أن تشير إلى أن هذا لا يختلف كثيراً عما فعلته (نجوى)، حينما قبلت منصب السكرتيرة بدلا من منصب مديرة إدارة التخطيط ..

علاقة عجيبة تلك التى تنشأ بين الأفاعى ...

قد تشتركان فى بث سمومهما فى جسد عدوهما ..

ولكنهما تتصارعان من أجل أن تحصل كل منهما على النصيب الأكبر ..

قد تتعاونان يوماً ..

ولكن كلتيهما لا تأمن جانب الأخرى مطلقاً ..

هكذا كانت العلاقة بين (نجوى) و(هدى) ..

كانت (نجوى) تتلهف للاسترسال فى الحديث عن (حنان) ، حينما دخل المقاول البدين (عطـوان) ، صاحب شركة المقاولات الحرة ، وهتف فى مرح :

ـ صباح الخير يا آنسة (حنان) ، كيف ...

بتر عبارته فجأة حينما رأى (نجوى) فى مقعد(حنان) ، فهتف فى دهشة :

ـ أين الآنسة (حنان) ؟

رفعت (نجوى) أنفها فى خيلاء ، وقالت :

ـ لقد نقلت إلى قسم المحاسبة ، وأنا السكرتيرة الجديدة .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتيه ، وهو يتأمل جمالها الصارخ ، قائلا :

ـ ونعم السكرتيرة يا سيدة ..

انتظر لحظة ، ثم أردف فى تخابث :

ـ (نجوى حماد) حسبما أذكر .. أليس كذلك ؟

اغتصبت (نجوى) ابتسامة وهى تقول من بين أسنانها :

ـ لك ذاكرة قوية يا سيد (عطوان) ، إننا لم نلتق سوى مرة واحدة ، فى أول زيارة لى للأستاذ (سامح) .

غمز بعينه وهو يقول فى لهجة القادر على استنباط الأمور :

ـ ولكننى قدرت حينئذ أنه سيكون لك شأن كبير فى هذه الشركة .

عادت تغتصب ابتسامة ثانية فى صعوبة ، على حين هتفت (هدى) فى تملق :

ـ أنت ذكى ولماح دائماً يا (عطوان) بك .

ابتسم (عطوان) فى غرور ، وسألها :

ـ هل وصل الأستاذ (سامح) يا جميلتى ؟

أسرعت (نجوى) تقول فى ضيق :

ـ إنه لم يصل بعد .

لوح (عطوان) بكفه فى حركة مسرحية ، وقال :

ـ سأنتظره فى مكتبه إذن .

تبعته (نجوى) ببصرها ، حتى غاب فى مكتب(سامح) ثم قالت فى حنق :

ـ يا له من رجل بغيض !! كيف يحتمله (سامح) ؟

ابتسمت (هدى) فى خبث ، وقالت :

- ألا تعرفين من هو هذا الرجل ؟ .. إنه صاحب أكبر شركة مقاولات خاصة فى الشرق الأوسط .

هتفت (نجوى) فى استنكار :

- هذا البدين ؟ !

قالت (هدى) وهى تومئ برأسها :

- هذا البدين يمتلك تلا من الأموال ، إن المليون جنيه لا تساوى لديه خردلة .

رفعت (نجوى) حاجبيها فى دهشة ، وقالت :

- إلى هذا الحد ؟

واصلت (هدى) وهى تتأمل انفعالات (نجوى) فى اهتمام :

- إنهم يقولون فى عالم الأموال إنه قادر على إنفاق ربع مليون جنيه أسبوعيًا ، دون أن تتناقص ثروته قرشاً واحداً .

صرخت (نجوى) من فرط انفعالها ودهشتها ، ثم لاذت بالصمت ، وانعقد حاجباها دلالة على تفكيرها العميق ...

لم يخف انفعالها على (هدى) ، التى أردفت فى خبث :

- وهو متزوج من امرأتين ، وله خمسة أبناء .

ازداد انعقاد حاجبى (نجوى) وهى تقول فى عصبية :

- وماذا يعنينى من معرفة قصة حياته ؟

قالت (هدى) فى لهجة تقطر خبثاً :

- ظننت أن الأمر يعنيك .

شعرت (نجوى) بالضيق والغضب ..

ربما لأنها عرفت أن (هدى) قرأت أفكارها ، وفهمت ما يجول بخاطرها ..

وربما لأنها صارحت نفسها لحظة بوصوليتها ، وانتهازيتها ، وعشقها للمال ..

أرادت أن تدير دفة الحديث ، فقالت فى توتر :

- لماذا تأخر (سامح) حتى الآن ؟ إنها التاسعة والنصف ، وهو يحضر دائماً فى تمام التاسعة .

تألق الدهاء والخبث فى عينى (هدى) وهى تقول :

- لقد حضر فى التاسعة بالفعل .

تطلعت إليها (نجوى) فى دهشة ، ثم قالت فى عصبية :

– لماذا لم يحضر إلى مكتبه إذن ؟

نظرت (هدى) فى عينيها مباشرة ، وقالت فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

– لقد ذهب إلى قسم المحاسبة .

أصابت الطعنة (نجوى) فى أعماقها ، فصرخت فى ذهول :

– قسم المحاسبة ؟ !

لم تكن دهشة (حنان) بأقل من دهشة (نجوى) ، حينما وجدت (سامح) أمامها فى قسم المحاسبة ...

خفق قلبها ، واضطرب بين ضلوعها ..

ارتجف جسدها ، وتوترت أعصابها ..

ولكن عينيه أعادت إليها الأمل ..

كان يتطلع إليها فى اهتمام ، وعيناه الفيروزيتان تجوبان ملامحها فى لهفة ..

وهناك فوق شفتيه ارتسمت أجمل ابتسامة رأتها فى حياتها ..

ابتسامة تجمع بين الراحة والاعتذار ..

صمتا طويلا وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، ثم همس هو :

– هل راقك العمل فى قسم المحاسبة ؟

قالت فى لهفة :

– سيروقنى كل ما يسعدك يا أستاذ (سامح) .

تنبهت إلى ما تشى به كلماتها بما يعتمل فى قلبها ، فتصاعدت الدماء إلى بشرتها البيضاء ، واصطبغ وجهها بحمرة خجل قانية ، ولكنه لم يلحظ شيئاً من كل هذا ، وقال فى لهجة هى أقرب إلى الاعتذار :

– اضطرتنى الظروف إلى نقلك .

قالت فى سعادة :

– لا بأس يا سيدى ، إننى أتقبل ذلك بنفس راضية .

عاد يتأمل ملامحها فى فضول ..

خيل إليه أنه يراها لأول مرة منذ تسلمت عملها فى شركته ..

اكتشف فجأة أنه يهوى لون شعرها الكستنائى ..

وأن عينيها جذابتان للغاية ..

شعر بحنين جارف إليها .. وأدهشه هذا الشعور ..

إنها تعمل سكرتيرة له منذ ثلاث سنوات دون أن ينتبه إلى محاسنها ..

ماذا أصابه إذن ؟ ..

حار السؤال فى ثنايا عقله ، دون أن يجد له جواباً ..

وقرأت هى كل هذا فى عينيه الفيروزيتين ..

انتابها شعور حالم وهى تلمح الحنين فى عينيه ..

رقص قلبها بين جوانبها لأول مرة فى صدق ..

ذاب قلبهـا فى عينيه ، وامتزجت روحها بروحه لثانية واحدة ..

ولكن القدر لا يمنح كل شىء دفعة واحدة ..

كانت هنـاك عينان أخريان ترقبان هـذا اللقـاء ذا الحنين الدافق ..

عينان لهما لون الذهب حينما يختلط بالماء ..

منهما يطل حقد دفين ، وكراهية لا مثيل لها ..

كانتا عينىْ (نجوى) ، التى قالت فى برود :

ـ الأستاذ (عطوان) ينتظرك فى مكتبك منذ عشر دقائق يا (سامح) بك .

أخرجتهما كلماتها الباردة من لحظتهما الأولى ..

بترت أول حديث كادت تنطلق فيه مشاعرهما ..

شعـرت (حنـان) أن كراهيتهـا لـ (نجوى) قـد تضاعفت ..

وبوغت (سامح) وهو يلتفت إليهـا فى ارتباك ، كطفل ضبط متلبساً بعمل خاطئ ..

ساد صمت مشوب بالتوتر طويلا ، ثم قال (سامح) فى ارتباك :

ـ كنت أتفقد قسم المحاسبةً و ..

قاطعته (نجوى) فى برود :

ـ إنها شركتك يا (سامح) بك .

أعادت إليه عبارتها وضوح الرؤية ..

تذكر أنه صاحب الشركة الحقيقى ، وأنه ليس من حقها أن تعامله بكل هذا البرود ، حتى ولو كان غارقاً فى حبها ..

دفعه هذا إلى أن يقول فى جفوة :

ـ حسناً .. سأصعد فور انتهائى من تفقد قسم المحاسبة .

صدمتها خشونته ..

خشيت معها أن تنهار خطتها كلها ، فتظاهرت بالخضوع وهى تقول :

ـ كما تأمر يا (سامح) .

تعمدت أن تنطق اسمه مجرداً بصوت متهدج ..

أرادت أن توقظ مشاعره القديمة تجاهها ..

ويبدو أن أسلوبها الثعبانى قد أفلح ..

تملكه الندم على خشونته تجاهها ، وقال فى أسف :

ـ سأصعد على الفور يا (نجوى) .

تركته يغادر قسم المحاسبة وحده ، دون أن تتبعه ، واستدارت إلى (حنان) تحدجها بنظرات نارية ..

ولكن (حنان) لم تبال بنظراتها الحاقدة هذه المرة ..

كانت تلك الكلمات القليلة التى تبادلتها مع (سامح) ، قد أيقظت فى نفسها الأنوثة والثقة ، وأنعشت فى قلبها الأمل والحب ..

لأول مرة فى حياتها شعرت أن (سامح) قد بدأ يهتم بوجودها ..

وكان هذا الشعور يكفيها ..

إنها حتى لم تبال حينما اقتربت منها (نجوى) ، وسألتها فى عصبية :

ـ ما اللعبة التى تمارسينها بالضبط ؟

أجابتها (حنان) فى برود :

ـ ليس من عادتى اللعب والتخطيط .

ثم أردفت فى لهجة ذات معنى :

ـ هناك من لا يمكنهم العيش دون ذلك .

احتقن وجه (نجوى) غضباً ، وقالت فى حنق :

ـ إنك تشعلين حرباً لن يمكنك الصمود فيها ..

أشاحت (حنان) بوجهها بلا مبالاة ، فازداد غضب (نجوى) وهى تقول :

ـ اسمعى أيتها المتكبرة .. لقد نفذت وعيدى مسبقاً بإقصائك عن عمل سكرتيرة المدير العام .. أما الآن فأنا أحذرك .

تطلعت إليها (حنان) فى تحد وبرود ، فاستطردت هى فى غضب زاد حتى وصل إلى ما يقرب من الصراخ :

– لو انك لم تكفى عن محاولة إيقاع (سامح) فى شباكك ، فسأعمل على طردك تماماً من هذه الشركة .. هل تفهمين ؟

ظلت (حنان) على برودها وتحديها ، فاستدارت (نجوى) فى حدة ، وغادرت مكتب (حنان) ، وأغلقت الباب خلفها فى عصبية ، وقد قررت الاستمرار فى المعركة ، حتى تدمر غريمتها تماماً .



٨ – الحيرة ..

عاد (سامح) إلى منزله ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء كعادته ، ثم توجه من فوره إلى حجرة نوم والدته العجوز ، التى استقبلته بابتسامة حنون وهى تسأله :

– كيف كان يومك يا ولدى ؟

انحنى يقبل يدها فى احترام وإجلال ، وابتسم بأقصى ما يسمح به ذلك التعب الذى يملأ جسده ، وقال :

– فى خير حال يا أماه ، ما دمت تواصلين دعواتك من أجلى .

ربتت أمه على رأسه فى حب وإعزاز ، وهمست فى حنان :

– فليبارك لك الله – سبحانه وتعالى – يا ولدى .

عاد يقبل يدها فى احترام ، ثم انسحب إلى حجرته فى هدوء ..

بدّل ثياب العمل ، وارتدى منامته على عجل ، ثم استرخى فوق فراشه ..

انطلقت أفكاره – دون وعى منه – إلى ما حدث ذلك الصباح فى قسم المحاسبة ..

بعثت الذكرى فى نفسه نهراً من التساؤلات ..

تساءل عن سبب تلك اللهجة الباردة ، التى تحدثت بها إليه (نجوى) هناك ..

أعاد ذكر (نجوى) نهر ذكرياته إلى منبعه ..

إلى خمسة عشر عاماً مضت ..

عاد يتذكر كيف كان و (نجوى) عاشقين تضرب بهما الأمثال ..

كيف كانت لهفتهما وسعادتهما ..

كيف كان حبهما ..

تملكه شعور بالاختناق عندما تذكر ذلك اليوم الذى علم فيه بزواجها ..

كانت الصدمة قاسية عنيفة حينذاك ..

لقد أخفت (نجوى) النبأ حتى آخر لحظة ..

التقيا قبل زفافها بليلة واحدة دون أن تخبره ..

كانت تضحك وتلهو دون أن يبدو عليها أثر الخيانة..

وفى اليوم التالى تزوجت ..

انهارت مشاعره – يومئذ – وسقط صريع المرض ..

كره الدنيا ، وكفر بالحب والوفاء والإخلاص ..

ودع الحياة ، وتمنى الموت ..

لولا والدته ..

تلك السيدة التى يفيض الحنان من قلبها أنهاراً وبحاراً..

كانت تتعذب من أجله فى صمت ..

دموعها فقط أدارت كل حديث بينهما حينذاك ..

تركته يفرغ أحزانه وآلامه .. يأسه وغضبه .. حقده وكراهيته ..

حتى شعرت أن الوقت قد حان، فتدخلت ..

ابتسم فى سعادة حينما استعاد ذكرى حنانها الدافق فى تلك الأيام ..

كان الوحيد الذى بقى لها من دنياها ..

توفى زوجها الذى أحبته بعدعامين فقط من الزواج ..

ولم يترك لها سوى (سامح) ..

عاشت حياتها من أجله ..

منحته كل ما لديها من حب وحنان وأمل ..

راقبته فى سعادة وهو ينمو ويتفوق ، ويلتحق بكلية الهندسة ..

خفق قلبها فرحاً حينما أخبرها عن حبه ..

وانفطر قلبها حزناً عندما تحطم هذا الحب وانهار ..

تمزقت نفسُها وهى تراه يتمزق أمامها ..

ولكن فطرتها الطيبة جعلتها تنتظر ..

حتى أحست أنه قد أفرغ شيطان الغضب من أعماقه ..

وحينئذ اقتربت منه بكل حنانها ..

تركته يبكى على كتفها ويشكو ..

اتسعت ابتسامة (سامح) الحانية وهو يستعيد ما فعلته أمه فى ذلك اليوم ..

يكفى أنها حولت أحزانه وغضبه إلى حماس ورغبة فى الثأر ..

يومها حزن على العام الدراسى الذى فقده ..

حزن لأن هذا يظهره بمظهر المهزوم أمام (نجوى) .

امتلأت نفسه بالرغبة فى أن يحول هذه الهزيمة إلى نصر ..

وانطلق فى حياته من نصر إلى نصر ..

دفعته رغبته فى إثبات خطإ (نجوى) فى رفضه ..

وذاق ثمرة النجاح فى النهاية ..

أصبح مهندساً ناجحاً ثريًّا ، يتألق اسم شركته الهندسية عالياً فى عالم رجال الأعمال ..

وتحقق له النصر الكامل ، حينما سعت إليه (نجوى) .

عاد بذاكرته مرة ثانية إلى ما حدث فى قسم المحاسبة ..

تذكر (حنان) ، والسعادة التى تألقت فى عينيها حين رأته ..

تساءل عن مشاعرها نحوه .. وأدهشه أنه لم يلحظ ذلك طوال عملها إلى جواره ..

عاد يتساءل عن سر لهجة (نجوى) الباردة ..

ترى هل تعود إلى غيرتها عليه من (حنان) ؟

بعث هذا التصور فى نفسه نشوة غامرة ..

إنها تحبه إذن ما دامت تغار عليه إلى هذا الحد ..

لقد عادت إليه أخيراً .. فهل يتزوجها هذه المرة ؟

هل يحقق الآن ماعجز عن تحقيقه منذ خمسة عشر عاماً ؟

تقلب فى حيرة وهو يسأل : ولم لا ؟

فى نفس اللحظة كانت (حنان) تتقلب أيضاً على جمر الحيرة .. ولكنها كانت حيرة من نوع آخر ..

حيرة تمتزج بالسعادة والأمل ..

كانت ترقد إلى جوار شقيقتها (غادة) فوق فراشها، وكان الحديث يدور بينهما فى همس ، وكأنهما تخشيان ابتذال هذه اللحظات بالصوت المرتفع ..

كانت (حنان) قد قصت تفاصيل ما حدث فى قسم المحاسبة على (غادة) ، فقالت هذه الأخيرة فى حماس :

— أرأيت أننى كنت على حق ؟ .. لقد أيقظ ابتعادك عنه نار اللهفة فى قلبه ..

صمتت (حنان) لحظة ، وكأنها تستعيد ذكرى هذه اللحظات ، ثم قالت فى همس :

— لقد تصورت هذا فى البداية ، ولكن ظهور (نجوى) أصابه بارتباك لا مثيل له .

ثم هزت رأسها وهى تردف فى حيرة :

— لم أعد أفهمه .

صمتت (غادة) ، وكأنها تقلب الأمر فى رأسها من كل الوجوه ، ثم قالت :

— سيمضى وقت طويل قبل أن يسقطها من قلبه .

قالت (حنان) :

— هذا لو أنه فعل .

غمغمت (غادة) فى ثقة:

— سيفعل :

رفعت (حنان) رأسها قليلا عن الفراش ، وهتفت فى دهشة :

— لم تبدين واثقة هكذا ؟

ابتسمت (غادة) فى ثقة وهى تقول:

— لأنه لم يعد يحبها ، وإنما هو يعد عودتها إليه انتصاراً يحاول المحافظة على وقعه طويلا ، ولكنها هى تأتى كل ما يضايقه ، حتى أنها تنتزع شعوره هذا بالانتصار تدريجيًّا ، ولن يلبث أنه يفقد لهفته القديمة ، وحينئذ

سيتلاشى ذلك الحب الزائف فى أعماقه ، ويراها على حقيقتها .

حاولت (حنان) الاستسلام لمنطق شقيقتها ، ولكن سؤالا ألح فى أعماقها ، وانتقل إلى شفيتها وهى تقول :

– قد تنتبه تلك الأفعى إلى ذلك ، وتحسن التراجع فى ذكاء ، ولقد أخبرتك كيف تبدلت لهجتها من البرود إلى الدلال والاستكانة ، حين بدا غضبه فى نبراته .

صمتت (غادة) طويلا مرة أخرى ، ثم أجابتها :

– كل ما عليك هو الانتظار .

هتفت (حنان) :

– هكذا فى سلبية .

قالت (غادة) وهى توليها ظهرها ، وكأنها تنهى الحديث :

– انتظرى أو قاتلى بأسلوبها .

غمغمت (حنان) فى دهشة :

– بأسلوبها ؟ !

ثم لاذت بالصمت ، وانطلق عقلها يبحث عن الجواب فى حيرة ..

لم تكن الحيرة من نصيب (سامح) و (حنان) وحدهما هذه الليلة ، فهناك أيضاً فى منزل (نجوى) انبعثت حيرة من نوع ثالث ..

كانت (هدى) تقول لـ (نجوى) ، التى بدت فى قمة عصبيتها :

– لقد أخطأت حينما تحدثت إليه بهذا الأسلوب البارد . . .

لوَّحت (نجوى) بكفها فى عصبية ، وقالت :

– لم أحتمل رؤيته وهو يتطلع إليها بكل هذا الشغف .

ابتسمت (هدى) وهى تقول فى دهاء :

– يبدو أن هذه الفتاة تمثل غريماً قويًّا لك .

هتفت (نجوى) فى غضب :

– هيهات أن تنتزع منى (سامح) ، حتى لو وصل بى الأمر إلى قتلها .

قالت (هدى) فى لهفة :

– ما رأيك فى اتخاذ أسلوب جديد ؟

تلفتت إليها (نجوى) بعينين متسائلتين ، فاستطردت :

– لقد نجحنا فى إبعاد هذه الفتاة عن العمل إلى جواره ، ولكن هـذا زاد من اهتمامه بها ، وستنتهز هى الفرصة بالطبع ، إلا إذا حطمناها أمامه تماماً .

سألتها (نجوى) وقد استيقظت الطبيعة الوحشية فى أعماقها :

– كيف ؟

قالت (هدى) فى غموض :

– نجعلها تقع فى غرام رجل آخر .

عقدت (نجوى) حاجبيها وهى تقول فى غضب :

– إنها ليست من هذا النوع .

أسرعت (هدى) تقول :

– لا داعى لأن تقع فى غرامه بالفعل ، المهم أن يتصور الأستاذ (سامح) ذلك .

ظلت (نجوى) تحدّق فى وجه (هدى) بعض الوقت ، ثم قالت فى حماس :

– فـكرة رائعة ! ! فـ (سامح) لا يحتمل الخيانة ، ومجرد شكه فى حقيقة مشاعرها سيدفعه إلى نبذها تماماً و ..

وبترت عبارتها فجأة وهى تعود إلى عقـد حاجبيهـا ، قائلة :

– ولكن من هو هذا الرجل المفترض أنها وقعت فى غرامه .

غمغمت (هدى) وهى تفكر :

– لن نعجز عن إيجاد شخص منطق ..

ثم هتفت فجأة :

– ما رأيك فى (عطوان) ؟

قلبت (نجوى) شفتيها فى اشمئزاز ، وقالت :

– ذلك المقاول البدين ، من تلك التى تقع فى غرام رجل مثله ؟

أجابتها (هدى) فى خبث :

– كثيرات هن من يقعن فى حب أصحاب الملايين .

ثم أردفت وهى ترقب انفعالات (نجوى) فى دهاء :

– خاصة عندما يكونون أسخياء مثل (عطوان) .

سألتها (نجوى) وهى تشرد بأفكارها :

– أهو سخى حقًّا ؟

أجابتها فى دهشة مصطنعة :

– (عطوان) بك .. إنه أكثر سخاء من (حاتم الطائى) نفسه ، ليتك ترين زوجتيه ، إنهما تسبحان فى بحار العز والثراء .

غمغمت (نجوى) وقد تخيلت نفسها بالغة الثراء :

– أحقًّا ؟ !

ثم استعادت جديَّتها وهى تقول :

– ولكن (عطوان) يمكنه أن ينفى الأمر إذا ما سأله (سامح) .

غمزت (هدى) بعينها ، وقالت فى دهاء :

– يمكننا أن نرتب الأمر بحيث يبدو نفيه إثباتاً .

سألتها فى لهفة :

– كيف ؟

وضعت (هدى) إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وقالت فى خبث :

– سنقنع الأستاذ (سامح) أن (حنان) و (عطوان) يلتقيان سرًّا ، وأنها تستهدف ثراءه الفاحش و ..

قاطعتها (نجوى) وهى تهتف :

– مهلا يا (هدى) ، لقد انتظمت فى عقلى خطة جهنمية .

وأسرعت إلى حجرة نومها ، على حين هتفت (هدى) :

– أخبرينى بها على الأقل .

عادت (نجوى) من حجرة نومها وهى تقبض راحتها على شىء ما ، وقربت راحتها من وجه (هدى) ، ثم فتحتها وهى تقول :

– سأدفع هذا ثمناً لتحطيم تلك المغرورة ، وسيعوضنى زواجى من (سامح) أضعافه .

شهقت (هدى) من منظر الخاتم الماسى المتألق فى راحة (نجوى) ، وصاحت فى انبهار :

– يا إلهى ! ! إنه يساوى خمسة آلاف جنيه على الأقل .

ابتسمت (نجوى) فى خيلاء ، وقالت :

– ستكون هذه الآلاف الخمسة ثمناً لخلاصى من تلك المغرورة ، وزواجى من (سامح) .

سألتها (هدى) فى لهفة :

– كيف ؟

ابتسمت وهى تقول فى شراسة وغموض :

– سترين .

* * *



٩ – الصدمة ..

ابتسم (سامح) وهو يعبر باب حجرة (نجوى) ، الملحقة بمكتبه ، وقال وهو يتطلع فى شوق إلى ملامحها المتألقة هذا الصباح :

– كيف حالك يا (نجوى) ؟

ابتسمت فى دلال وإغراء وهى تقول :

– فى خير حال يا (سامح) ، كيف أنت اليوم ؟

امتلأت ابتسامته بالهيام وهو يقترب منها ، قائلا :

– سعيد برؤيتك يا (نجوى) ، أنت رائعة الجمال هذا الصباح .

كانت تنتظر هذه العبارة ، فقالت فى سرعة :

– إننى أمتع نفسى كثيراً حتى لا يذوى جمالى ، لقد قضيت سهرتى البارحة فى ملهى صغير فى هضبة الهرم ، هل تعلم من التقيت به هناك ؟

سألها وهو يتأمل ملامحها الجميلة :

– من ؟ !

نظرت فى عينيه مباشرة وهى تقول فى بطء :

– (عطوان) بك صاحب شركة المقاولات الحرة ، والآنسة (حنان) .

تجلت دهشته وهو يهتف .

– معاً ؟ !

هزت (نجوى) كتفيها ، وقالت :

– وماذا فى ذلك ؟ .. إنه رجل يهوى النساء الجميلات ، وهى تهوى الأثرياء .

صاح فى استنكار :

– هذا مستحيل ، ليست (حنان) من هذا النوع .

تظاهرت باللامبالاة وهى تقول :

– ربما ! .. ولكننى أعتقد أن الفتاة التى تقبل من رجل – لا تربطها به أية صلة – هدية يصل ثمنها إلى مايقرب من خمسة آلاف جنيه ، هى فتاة مادية ولا شك .

شهق من المفاجأة وهو يقول :

– خمسة آلاف جنيه ؟ !

قالت فى غضب حقيقى :

– وماذا يضايقك فى هذا الأمر ؟ إن (حنان) هذه لا تمت لك بصلة قربى ، وأنت لست وصيًّا عليها ، فلتفعل ما بدا لها ..

ألجمته عبارتها ، وأيقظت فيض مشاعره ..

انطلق فى عقله تساؤل قوى يبحث عن إجابة ..

لماذا أصابه كل هذا الضيق حقًّا ، حين أخبرته (نجوى) عن علاقة (حنان) بـ (عطوان) ؟

لماذا استنكر فى أعماقه تردِّى (حنان) إلى هذا الدرك ؟

لم يجد جواباً لسؤاليه ، فقال فى ضيق :

– فلتفعل ما بدا لها ..

ثم تحرك نحو مكتبه فى توتر ، ولم يكد يبلغ بابه حتى سمع صوت (عطوان) من خلفه يقول :

– صباح الخير يا (سامح) بك ، من حسن حظى أن حضرت فى موعد قدومك تماماً ..

استدار إليه (سامح) فى حدة لم يألفها ، على حين

شحب وجه (نجوى) وهى تخشى فشل خطتها قبل أن تستقر كلماتها فى عقل (سامح) ..

أما (عطوان) فإنه لم يتنبه إلى انفعاليهما ، والتفت إلى (نجوى) ، وقال فى نعومة :

– صباح الخير يا جميلة الجميلات .

ثم تحرك نحو (سامح) ، وقال وهو يصافحه فى مرح :

– إننى أحتاج إلى استشارة هندسية عاجلة يا (سامح) بك .

أجابه (سامح) فى حدة لم ينتبه إليها (عطوان) :

– أنا أيضاً أريدك يا سيد (عطوان) .

تقدم (سامح) نحو مكتبه فى خطوات سريعة ، على حين تقهقر (عطوان) لحظة ، ووضع أمام (نجوى) علبة صغيرة ملفوفة فى غلاف أنيق ، وهو يغمز بعينه فى صفاقة ، قائلا :

– النبى قبل الهدية .

ثم أسرع إلى مكتب (سامح) ، وأغلق الباب خلفه ..

تناولت (نجوى) العلبة ، ودستها فى حقيبتها بحركة

آلية ، ثم أسرعت تتناول مسماع الهاتف ، وطلبت الرقم الداخلى لمكتب (هدى) ، ولم تكد تسمع صوتها حتى قالت فى همس :

– يبدو أن خطتنا ستفشل يا (هدى) ، لقد وصل (عطوان) توًّا ..

لم يكن (عطوان) يدرى شيئاً عن المؤامرة التى اشترك فيها على الرغم منه ...

كل ما لاحظه هو أن (سامح) لم يكن يقظ الذهن كعادته هذا الصباح ، فسأله فى اهتمام :

– ماذا بك يا (سامح) بك ؟ .. إنك تبدو شارداً .

تطلع إليه (سامح) فى غضب ، وتردد طويلا قبل أن يسأله :

– يقولون إنك تنسج شباكك حول واحدة من موظفات الشركة يا (عطوان) .

ابتسم (عطوان) فى فخر ، وفتل شاربيه وهو يقول :

– لا يمكن إخفاء الأنباء فى هذا العالم ..

ثم مال نحو (سامح) ، وأردف فى جدية :

- ولكننى أستهدف غرضاً شريفاً يا (سامح) بك ، أقسم على ذلك .

غمغم (سامح) فى دهشة :

- غرضاً شريفاً ؟

تراجع (عطوان) بمقعده ، وقال :

- بلا شك .. الزواج .

شعر (سامح) بغضب جارف يجتاح مشاعره ..

أدهشه أن يغضبه زواج (حنان) إلى هذا الحد ..

تذكر فجأة النظرات التى كان (عطوان) يلتهم بها (حنان) كلما رآها ..

انتابته غيرة شديدة وهو يتذكر ذلك .

انعكس ذلك على صـوته ، الذى بدا أكثر خشونة وهو يقول :

- ولكنك متزوج من امرأتين ، ولك خمسة أبناء .

عقد (عطوان) حاجبيه وهو يقول :

- ولكن الشرع أعطانا الحق فى أربع زوجات ، وأنا قادر على إعالتهن جميعاً على أكمل وجه .

تضاعف الغضب والغيرة فى قلب (سامح) ..

أضيف إليهما شعور بالندم لم يدر له سبباً ..

ومال نحوه (عطوان) وهو يسأله فى قلق :

- أخبرنى .. هل يهمك أمر هذه الموظفة ؟

انتفض وهو يقول فى غضب :

- كلا بالطبع .

كان يعلم أنه كاذب ، ولكنه لم يجرؤ على إعلان مشاعره ، وضايقه أن (عطوان) تنهد فى ارتياح ، وقال :

- لن يضايقك زواجى منها إذن .

غص حلق (سامح) حينما سمع عبارة (عطوان) ، وبدأ صوته متحشرجاً مختنقاً وهو يسأله :

- وماذا عن هديتك لها ؟

حدّق (عطوان) فى وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية ، وقال :

- لقد لاحظت ذلك . أليس كذلك ؟

ثم أردف دون أن ينتظر جواباً :

- إنها مجرد هدية صغيرة للتعبير عن مشاعرى .

قال (سامح) فى عصبية :

– هدية صغيرة بخمسة آلاف جنيه ؟ !

هز (عطوان) كتفيه ، وقال :

– إنها لا تساوى أكثر من ثلاثة آلاف فى الواقع .

أثار هذا الاعتراف مزيداً من الغيرة والغضب فى أعماق (سامح)، فتجاوز عن هذا الحديث، ونقل الحوار إلى النقطة الهندسية ، التى قدم (عطوان) لاستشارته بشأنها ، واستمر الحديث بينهما طويلا حتى غادره (عطوان) ..

جلس فى مكتبه شارداً واجماً ..

تساءل للمرة العاشرة عن سبب ضيقه من علاقة (حنان) و (عطوان) ..

انتابته رغبة عارمة فى لقاء (حنان) وسؤالها عن الأمر ..

تردد طويلا قبل أن يفعل ..

ثم نهض من مكتبه ، وتحرك نحو باب حجرته فى سرعة ..

لم يكد يفتح باب الحجرة ، حتى وقع بصره على (هدى) و (نجوى) وهما تتهامسان ..

ابتعدت كل منهما عن الأخرى فى حدة ، وشملهما وجوم مفاجئ ..

لم يخف ذلك الانفعال عن (سامح) الذى سألها فى عصبية :

– ماذا حدث ؟

ارتبكت (نجوى) ، ولم تحر جواباً ، على حين أسرعت (هدى) تقول :

– معذرة يا أستاذ (سامح) ، كنت أتحدث مع السيدة (نجوى) عن (حنان) .

أدهشه أن تصارحه بمثل هذا الأمر ، فعاد يسألها فى توتر متزايد :

– وماذا يدعو إلى الحديث عن (حنان) هنا ؟

ابتسمت (هدى) فى خبث ، وقالت :

– عفواً يا أستاذ (سامح) ، ولكن الآنسة (حنان) حديث الشركة بأكملها منذ الصباح .

وصل توتره إلى ذروته وهو يهتف :

ــ لمــاذا ؟

قالت (هدى) وهى ترقب انفعالاته فى اهتمام ومكر :

ــ لأنها ترتدى خاتماً من الماس يساوى خمسة آلاف جنيه على الأقل .

انهار توتره فى لحظة ...

تحول إلى دفق من الغضب والإحباط ..

كان يتمنى أن يكون كل ما سمعه منذ الصباح خداعاً .

كانت معرفته بـ (حنان) هى الأمل الوحيد الذى يستند إليه ..

وقد تحطم هذا الأمل مع كلمات (هدى) ..

اندفع دون أن يدرى إلى قسم المحاسبة ، وارتجفت يده وهو يدفع باب مكتب (حنان) ..

قفزت هى من مقعدها وهى تهتف فى سعادة :

ــ أستاذ (سامح) !! .. مرحباً بك فى مكتبى .

أدهشها أنه لم يجبها بكلمة واحدة ..

إنه لم يسمع كلماتها فى الواقع ..

لقد انتقل بصره فى لهفة إلى أصابعها ..

سرت فى أطرافه برودة كالثلج حينما رأى ذلك الشىء المتألق فى وسطى يمناها ..

كان ذلك الخاتم الماسى ذو الخمسة آلاف جنيه ..

تقدم منها فى حدة ، وأمسك معصمها يرفعه إلى وجهه وهو يسألها فى عصبية :

ــ كيف حصلت على مثل هذا الخاتم الثمين ؟

صاحت فى دهشة وألم من الطريقة العنيفة التى يمسك بها معصمها ، وقالت فى ألم :

ــ إنه هدية .

شحب وجهه وهو يغمغم :

ــ هدية ؟ !

إذن فكل ما سمعه عنها صحيح ..

إنها تسعى خلف المال ، وستتزوج من أجله ..

لقد تحطم الميل الذى كان يشعر به نحوها مؤخراً ..

إنها خائنة وهو لا يحب الخيانة ..

حاولت هى أن تشرح له الأمر ، قائلة :

– لقد حصلت عليه من ...

قاطعها وهو يدفع معصمها بعيداً فى غضب :

– كفى ..

ثم اندفع يغادر حجرتها ، وانهارت هى فوق مقعدها من شدة الصدمة .

* * *



١٠ – الفراق ..

استمعت (غادة) إلى القصة من بين شفتى (حنان) ، التى شحب وجهها من شدة البكاء ، ثم هتفت :

– يا إلهى !! ولماذا فعل بك هذا ؟

جففت (حنان) دموعها للمرة العاشرة منذ عودتها ، وقالت :

– لا ريب أن هذه الأفعى قد نسجت فضيحة ما حول الخاتم .

سألتها (غادة) فى دهشة :

– وما علاقة (نجوى) بالأمر ؟

قذفت (حنان) الخاتم بعيداً فى اشمئزاز ، وقالت :

– هى التى أهدته إلىَّ .

اتسعت عينا (غادة) ، وقفزت من مكانها إلى جوار أختها ، وهتفت :

– يا إلهى !! هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من التفاصيل .

عادت الدموع تنسال من عينى (حنان) وهى تقول :

– لقد أتت تلك اللعينة إلى مكتبى هـذا الصباح ، وكانت مثالا للرقة والوداعة ، وهى تعتـذر لى عن كل ما بدر منها فى حقى منذ لقائنا الأول ، وأصدقك القول إننى شعرت بالشفقة من أجلها ، فعاملتها فى رفق ومودة ، وأخبرتها أننى قد غفرت لهـا كل ما أساءت به إلىّ ، وهنا نزعت ذلك الخـاتم من إصبعها وأصرّت على إهدائه إلى ،وحينما اعترضت بأنه أثمن من مجرد عربون صداقة ، ادعت أنه مقلّد ، لا يساوى أكثر من مائة جنيه ، ووضعته فى وسطى يمناى ، وقبلتنى ، ثم غادرت مكتبى فى هدوء .

صمتت لحظة ، ثم أردفت :

– لم أكن أعلم أنها إنما نفثت سمها مع القبلة .

غمغمت (غادة) فى احتقار :

– يا للّعينة !!

ثم عقدت حاجبيها فى تفكير ، وأردفت :

– ولكن لماذا تضحى هذه المرأة بمثل هذا الخاتم الثمين؟

أجابتها (حنان) :

– حتى تبعدنى من طريقها ، وتحصل على (سامح) ، وكل ثروته .

غمغمت (غادة) :

– وتدفع الخاتم ثمناً للثروة .

ثم نهضت وهى تقول :

– لدى أسلوب عملى لرد الخدعة بمثلها .

سألتها (حنان) فى اهتمام :

– كيف ؟

أجابتها (غادة) فى حماس وكأنها تتحدث عن معركة حربية :

– اذهبى إليها فى مكتبها ، وأعيدى إليهـا الخاتم أمام (سامح) ، واشرحى له الأمر كله .

صمتت (حنان) وهى تفكر فى الأمر ، ثم قالت :

– يمكنها أن تتظاهر بالدهشة ، وتدعى عـدم رؤيتها للخاتم من قبل .

غمغمت (غادة) وهى تعقد حاجبيها :

– إنها لن تتورع عن هذا .

سألتها (حنان) فى يأس :

ـ ماذا أفعل إذن يا (غادة) ؟

مطت (غادة) شفتيها ، وقالت فى حيرة :

ـ لست أدرى يا (حنان) .. لست أدرى .

كان الأمر يختلف فى منزل (نجوى) ، فقد سادت هناك روح الظفر ، والمرح ، وتألقت عينا (نجوى) وهى تقول لـ (هدى) :

ـ لقد عاد ثائراً من قسم المحاسبة ، حتى بات من المخاطرة محاولة التحدث إليه .

ابتسمت (هدى) وهى تقول :

ـ أظنه لن يفكر فيها مطلقاً بعد ذلك .

أطلقت (نجوى) ضحكة شريرة وهى تقول :

ـ إنها تستحق هذا ؛ لأنها جرؤت على تحدى (نجوى حماد) .

ابتسمت كلتاهما فى سعادة ، ثم قالت (هدى) وهى تتطلع إلى (نجوى) فى خبث :

ـ (عطوان) بك يريد دعوتك إلى العشاء .

قلبت (نجوى) شفتيها ، وقالت :

ـ ماذا يظننى هذا الرجل ؟

قالت (هدى) فى هدوء :

ـ (عطوان) بك رجل كريم .

لوحت (نجوى) بكفها وهى تقول :

ـ لقد أعطانى سواراً من الذهب هدية ، ولكن اساء اختياره تماماً .

سألتها (هدى) وقد سال لعابها على ذكر الذهب :

ـ أهو رخيص ؟

هزّت (نجوى) كتفيها ، وقالت :

ـ بل يساوى ثلاثة آلاف على الأقل ، ولكنه فاسد الذوق .

قالت (هدى) فى مكر :

ـ يمكنك أن تستبدلى به آخر أنيقاً .

سألتها (نجوى) فى حدة :

ـ ماذا تعنين ؟

قالت فى هدوء :

– أعنى أن أموال (عطوان) بك يمكنها أن تشترى الكثير .

ثم أردفت وهى تلمح دلائل التفكير فى وجه (نجوى) :

– تصورى أنه وعدنى بألف جنيه دفعة واحدة ، لو أمكننى إقناعك بقبول دعوته إلى العشاء .

غمغمت (نجوى) فى غضب :

– ألف جنيه ؟ ! .. لهذا تسعين إلى إقناعى .

تراجعت (هدى) فى ذكاء وهى تقول :

– لقد رفضت بالطبع ، ولكننى أراها فرصة مناسبة لتنعمى بالثراء .

سألتها فى غضب :

– أتظنيننى عاهرة ؟ !

رفعت (هدى) حاجبيها فى دهشة مصطنعة وهى تقول :

– عاهرة ؟ ! .. إن هذا لم يخطر ببالى مطلقاً ، إنه يطلب الزواج .

هتفت (نجوى) فى دهشة :

– الزواج ؟ !

لاذت (هدى) بالصمت فى ذكاء ...

أرادت أن تترك لها الوقت للتفكير فى الأمر ..

إنها علاقة الأفاعى مرة أخرى ..

لقد وعدها (عطوان) بعشرة آلاف جنيه ، إذا ما أقنعت (نجوى) بقبولها الزواج منه ..

وهى تحتاج إلى الآلاف العشرة أكثر مما تحتاج إلى صداقتها مع (نجوى) ..

هكذا دائماً فى عالم الأفاعى .. الفريسة قبل الصداقة ..

ولقد أفلحت طريقتها مع (نجوى) ..

بدأت (نجوى) تدرس عرض الزواج فى جدية ..

كان المال يمثل جزءاً كبيراً من طموحها ..

والزواج هو وسيلتها الوحيدة للتمتع بالثراء ..

كان (سامح) ثريًّا ..

ولكن (عطوان) باهظ الثراء ..

يمكنها أن تتمتع بالآلاف مع رجل وسيم كـ(سامح) ..

أو بالملايين مع رجل مثل (عطوان) ..

لم يحتج عقلها إلى كثير من التفكير ليعلم أن الملايين تمنح من المتع ما يفوق الآلاف ..

قالت وكأنها تبحث عن مبرر للقبول :

– تقولين إن (عطوان) متزوج من امرأتين .

أسرعت (هدى) تقول :

– ولكنه ينفق عليهما فى بذخ .

– سأصبح الثالثة فى حياته .

– يمكنك أن تصبحى الأولى فى حياته بذكائك .

– ولكننى الأولى فى حياة (سامح) بالفعل .

– (عطوان) أكثر ثراءً .

– لا معنى لكل ما فعلناه إذا كنت لا أنوى الزواج من (سامح) .

– لقد حطمتِ منافسةً لك ، ولهذا مُتعته .

– لقد فعلت هذا من أجل الزواج من (سامح) .

– لن تحتاجى إلى مواصلة الصراع ، فـ (عطوان) لا يرغب سواك .

– ولكن (سامح) أكثر وسامة .

– المال يجعل الرجل وسيماً دائماً .

– ولكن (سامح) ليس فقيراً ، فلماذا أتركه وهو يحبنى .

– لأن (سامح) جاد صارم ، لا يميل إلى السهرات والحفلات مثل (عطوان) ..

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وبدأت (نجوى) تقارن فى عقلها بين (سامح) و (عطوان) فى هذه النقطة بالذات ...

صحيح أن (سامح) ثرى ، ولكنه يقضى وقته كله فى العمل ..

أما (عطوان) فهو مليونير يهوى السهر والمرح ..

ربما لأن (سامح) ما زال يبنى شركته وينميها ، أما (عطوان) فهو يرفل فى ثوب الملايين ..

تصورت نفسها سيدة الحفلات والسهرات والمجتمعات ..

تخيلت نظرات الإعجاب تلاحقها ، وصيحات الانبهار تسبقها ..

رأت بعين الخيال رجال المجتمع يشيرون إليها فى افتتان ..

سمعتهم فى خيالها يتحادثون بأنها صاحبة ملايين ..

قارنت بين العبارتين .. صاحبة الملايين ، وصاحبة الألوف ..

لعب الطمع البشرى دوره فى هذا الاختيار أيضاً ..

منذ خمسة عشر عاماً قادها الطمع البشرى إلى التخلى عن (سامح) ..

والآن أيضاً دفعها الطمع إلى التخلى عنه ..

منذ خمسة عشر عاماً رفضته من أجل المال ..

والآن ترفضه من أجل مزيد من المال ..

لا حدود للمطامع البشرية وشهوة المال ..

إنها عمياء ، قاسية ، لا ترحم ..

إنها نوع من الجنون ، الذى يفقد الإنسان أمامه كل عقل وتمييز ..

حسمت (نجوى) الأمر وهى تقول :

– متى يدعونى إلى العشاء ؟

تنهدت (هدى) فى ظفر وارتياح ، وأسرعت تقول :

– الليلة .

هتفت (نجوى) فى دهشة :

– الليلة ؟ !

صاحت (هدى) :

– إنه لا يحتمل الانتظار .

ابتسمت (نجوى) فى غرور ، وقالت وهى ترفع أحد حاجبيها :

– نعم .. إنه لن يحتمل الانتظار .

* * *



١١ ـ الانبهار ..

اجتاحت حمى الثراء (نجوى) منذ اللحظة الأولى ..

منذ توقفت سيارة (عطوان) الفاخرة الأنيقة أمام منزلها ..

اتسعت عيناها ذهولا وهى تتأمل السيارة ..

كانت من ذلك النوع الذى يبلغ ثمنه عشرات الآلاف من الجنيهات ..

وجدت نفسها تقارن بلا وعى بين سيارة (عطوان) المبهرة ، وسيارة (سامح) العادية ..

تخيلت نفسها تقود هذه السيارة الفاخرة ، فسرت فى جسدها نشوة لذيذة ..

لم يهبط (عطوان) من السيارة لاستقبالها ..

تركها تدور حول سيارته وتركب إلى جواره ..

سألته وهو ينطلق بالسيارة :

ـ إلى أين ؟

أجابها فى لهجة متفاخرة :

ـ إلى أفخر فنادق القاهرة ، لقد طلبت إعداد سهرة خاصة .

لم تحاول أن تسأله عما كلفته تلك السهرة الخاصة ، فهى تعلم أن ذلك لا يقل عن عشرة آلاف أخرى ، فاسترخت فى مقعدها ، وحاولت أن تتخيل نفسها ترفل فى كل هذا الثراء ..

لم تنقطع عن خيالاتها إلا حينما توقفت سيارته أمام الفندق الفاخر ..

أسرع موظفو الاستقبال يرحبون به فى حرارة تؤكد اعتياده ارتياد مثل هذه الأماكن ، وصحبوهما إلى ركن فاخر يبدو وكأنه أعد خصيصاً من أجلهما ..

طلب (عطوان) عشاءً فاخراً ، ثم التفت إليها ، وقال :

ـ ماذا قررت يا جميلة الجميلات ؟

صمتت لحظة ، ثم أجابته بسؤال آخر :

ـ ماذا ستفعل بزوجتيك ؟

بدا وكأن السؤال قد أدهشه ، فتطلع إليها بعينين تسائلتين ، ثم أجابها فى غلظة :

ـ ماذا سأفعل بهما ؟ ! .. سأبقيهما بالطبع .

مالت نحوه ، وقالت فى لهجة تقطر دلالا ، وإغراءً :

ـ إننى لا أحب الشركاء .

تألقت ضحكة فى عينيه ، ثم لم تلبث أن انتقلت إلى شفتيه وهو يقول :

– إن تطليق زوجتىّ يفقدك الشعور بالأمان يا جميلة الجميلات .

لم تفهم معنى إجابته ، فسألته فى عصبية :

– ماذا تعنى بقولك هذا ؟

عاد بظهره إلى الوراء يستند إلى مقعده ، وأشعل سيجارة فى هدوء ، ونفث دخانها وهو يقول :

– لو أننى طلقت زوجتىّ من أجلك ، فسيعطيك هذا إحساساً بأننى قادر على طلاقك من أجل أخرى ، أما احتفاظى بهما فيؤكد أننى رجل مخلص .

أقنعها منطقه على الرغم من أنه لم يحصل على شهادة الابتدائية ، فصمتت بعض الوقت ، ثم قالت :

– وكيف تنوى أن تتزوجنى ؟ .. سرًّا ؟ !

ضحك ، ومال نحوها وهو يقول :

– إننى لا أفعل شيئاً أخجل منه يا جميلة الجميلات ، سيتم زواجنا فى حفل فخم ، يحضره علية القوم ، وتتحدث

عنه القاهرة أياماً ، وسترتدين أفخر ثوب زفاف شهدته مصر كلها .

بهرتها الصورة التى نقلهـا إلى مخيلتها ، وتصورت نفسها عروس أفخم حفل زفاف ، واستيقظ غرورها ، فاستسلمت لسطوة المال ..

مالت نحوه وهى تقول فى دلال :

– هل ستدفع لى مهراً كالأبكار ؟

ابتسم فى ثقة وغرور ، وقال :

– لن يقل مهرك عن ربع مليون جنيه يا جميلة الجميلات وستبرز عيون نساء مصر وهن يتطلعن إلى شبكتك .

أدارت الأرقام والتصورات رأسها ...

حطمت البقية الباقية من كرامتها وغرورها ..

جعلتها ترى (عطوان) بمنظار آخر ..

بدت لها بدانته أكثر وسامة من (سامح) ..

تراءت لها فظاظته أكثر رقة من فراشة ..

نسيت زوجتيه ، وتعليمه المتواضع ..

بهرتها الأرقام والخيالات حتى باتت تلهث من شدة الانفعال ..

وحضر العشاء الفاخر ليزيد من انبهارها وانفعالها ..
لم يكن عشاء فردين .. بل هو مأدبة ملوك ..
بكل ما يحيط بها من مظاهر العظمة والفخفخة ..
انهار حائط مقاومتها تماماً مع نهاية العشاء .
جلست صامتة مستسلمة وهو يشعل سيجارته ، وينفث دخانها فى وجهها ، ثم سمعته يقول :
- ما زالت هناك نقطة هامة لم نناقشها بعد .
رفعت إليه عينين متسائلتين فى خضوع ، فأردف :
- أنا لا أحب أن تعمل زوجاتى ، أريدهن أن يتفرغن لى .
أحنت رأسها وهى تقول فى استسلام :
- كما تأمر يا (عطوان) بك .
تنهد فى ارتياح وغرور ، وأخذ ينفث دخان سيجارته ، وقد أصبح واثقاً أنه نجح فى إبهارها حتى النخاع .
فى نفس اللحظات التى انهارت فيها مقاومة (نجوى) ، كانت (حنان) تتقلب فى فراشها قلقة ..
كانت تراجع علاقتها بـ (سامح) ..

اعترفت لنفسها أن حبها لـ (سامح) لا يمكن أن يسمى بالعلاقة ..
فهو ما زال حبًا من طرف واحد ..
إنها تحبه وحدها بكل مشاعرها وجوانحها ..
صحيح أنه يبدى نحوها بعض الاهتمام فى الآونة الأخيرة ..
ولكن الاهتمام وحده لا يكفى ..
لعنت (نجوى) ، وأسلوبها المخادع الملتوى ..
تعاظمت كراهيتها فى قلبها وهى تسترجع ذكريات خدعة الخاتم ..
عادت تفكر فيما اقترحته (غادة) ..
قلبت الأمر فى رأسها ، ثم انتهت إلى أنه التصرف الأمثل ..
ستذهب إلى (سامح) فى مكتبه فى الصباح ، وتطلب منه استدعاء (نجوى) . ثم تواجهها بكل شىء أمامه ..
حتى ولو أنكرت (نجوى) ، سيكون هذا هو التصرف الأمثل بدلا من احتفاظها هى بالعار ..
إن محاولتها الدفاع عن نفسها أفضل كثيراً من صمتها ، وكأنها تعترف بالذنب ..

نهضت من فراشها ، وأضاءت الحجرة ، ثم جلست أمام المرآة تتأمل وجهها ..

اعترفت لنفسها أنها لا تهتم حقًّا بجمالها ، ولا تحاول إبرازه ..

استعادت كلمات (غادة) وهى تنصحها بمحاربة (نجوى) بنفس الوسائل ..

إن (نجوى) تتسلح بالجمال وحده ، فلتحذ حذوها إذن ..

صحيح أن (نجوى) تفوقها جمالا .. ولكنها ستقاوم ..

لن تفوق جمال (نجوى) المبهر ، ولكنها ستعمل على تقليل الفارق بينهما على الأقل ..

لن تستسلم ..

أعادت تصفيف خصلات شعرها الكستنائى على نحو أكثر أنوثة ..

تأملت وجهها لحظة ، ثم أعادت شعرها إلى ما كان عليه ، وهى تغمغم فى ضيق :

- كلا .. فليقبلنى كما أنا وإلا فلا ..

عادت إلى فراشها وقد راودها شعور بالسخط ..

غمغمت وهى تسدل الغطاء على جسدها :

- ليس من الضرورى أن أتحول إلى أفعى لأحارب الأفاعى ..

حاولت أن تقنع نفسها بهذا المنطق الجديد ..

جافاها النوم وهى تحاور عقلها بالمنطقين ..

أشرق الصباح دون أن يغمض لها جفن ، ولكن عقلها استقر إلى قرار ..

نهضت من فراشها فى حماس ، وتناولت أدوات مكياجها وهى تقول ..

- لا يفل الحديد إلا الحديد ..

لقد قررت أن تقاتل ..

• • •



١٢ - الهزيمة ..

تجاهلت (حنان) نظرات الإعجاب وهى تعبر بوابة الشركة هذه المرة ..

كانت تبدو فى أبهى صورة هذا الصباح ..

شحذت كل أسلحتها من أجل المقاومة ..

لم تطأ أرض مكتبها بقدميها .. بل توجهت من فورها إلى مكتب (نجوى) ..

أقلقها أن تجد المكتب خالياً ، ولكنها اتخذت مقعداً مقابلا له ، وهى تقبض على الخاتم فى راحتها ..

خفق قلبها فى عنف وكأنها مقدمة على عملية انتحارية ..

كانت قد قررت أن تواجه (سامح) بكل شىء ..

ستفضح (نجوى) أمامه ، وليكن ما يكون ..

تطلعت إلى صورة (نجوى) الملونة فى الإطار الأنيق ، الذى تزين به مكتبها ، وانتابها شعور بالغضب ..

غمغمت فى أعماقها :

- كل الأفاعى جميلة المظهر .

جذب انتباهها صوت باب المكتب وهو يفتح فى هدوء ، فاستدارت إليه وقد اشتعلت أعصابها بالرغبة فى الصراع ، ولكنها دهشت حينما طالعها وجه (هدى) بدلا من (نجوى) ..

كانت (هدى) فى قمة سعادتها هذا الصباح ..

لقد نجحت فى إقناع (نجوى) بالزواج من (عطوان) ..

ستتقاضى عشرة آلاف جنيه ثمناً لإقناعها ..

ولكن سعادتها لم تمنعها من الشعور بالرغبة فى الإيذاء حين وقع بصرها على (حنان) ..

بادرتها (حنان) ، قائلة :

- أين (نجوى) ؟ لماذا لم تحضر إلى مكتبها هذا الصباح .. ؟

ابتسمت (هدى) فى خبث ، وقالت :

- إنها لن تحضر إلى الشركة مطلقاً .

عقدت (حنان) حاجبيها وهى تسألها فى حدة :

- لماذا ؟

أجابتها (هدى) فى هدوء وهى ترقب انفعالاتها :

- إنها تعد لحفل زفافها هذا المساء .

شحب وجه (حنان) حتى حاكى وجوه الموتى ..

انهارت خطتها القتالية وهى تسمع تصريح (نجوى) هـــذا ..

تحطمت ثقتها وهى تسألها فى شحوب وذهول :

- حفل زفافها ؟ ! .. ممن ؟ !

هنا تختلف طبيعة أفاعى البشر عن الأفاعى الحقيقية ..

فالأفعى الحقيقية لا تنفث سمها إلا دفاعاً عن نفسها ، أو بحثاً عن طعامها ..

أما أفعى البشر فهى تعشق الإيذاء ..

تجد فيه متعتها ونشوتها ..

ثقتها وقوتها ..

كان يمكن أن تخبر (حنان) عن اسم زوج (نجوى) ..

ولكن رغبتها فى الإيذاء أوحت لها بأسلوب شيطانى خبيث ..

أدارت وجههـا إلى باب مكتب (ســامح) ،

وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة وهى تقول فى بطء :

- خمـــنى !

لو أن رصاصة أطلقت على قلب (حنان) لما ارتجف كما فعل فى هذه اللحظة ..

ولو أن قنبلة انفجرت فى أعماقها لما حطمتها كما فعلت عبارة (هدى) ..

لقد شعرت وكأن قلبها قد تمزق دفعة واحدة ..

بل كأنه انتزع من بين ضلوعها ، وألقى به فى أتون من النار ..

هوت من قمة الحماس إلى قاع اليأس فى ثانية واحدة .

جفت من عينيها الدموع ..

تحطم فى قلبها الأمل ..

انهارت فى أعماقها الحياة ..

اندفعت فجأة تغـادر المكتب قبـل أن تسقط أمام (هدى) ..

وفى أعماقها انطلق صراخ ارتج له كيانها ..

صراخ يردد فى ألم ويأس :

– لقد انتهى كل شىء .. ضاع الأمل .. لم يعد هناك معنى للحياة .. وداعاً .. وداعاً إلى الأبد ..

لم تدر وهى تنطلق باكية إلى منزلها أن (سامح) كان يبحث عنها فى قسم المحاسبة ..

انتابته رغبة جارفة فى رؤيتهـا ، فعرج على مكتبهـا قبل أن يصعد إلى مكتبه ..

شعر بالقلق حينما تأخرت ، وقرر الصعود إلى مكتبه حتى لا ينتبه موظفو القسم إلى مشاعره الجياشة ..

لم ينتبه إلى عدم وجود (نجوى) أمام مكتبها وهـو يعبر باب مكتبه ..

جلس خلف مكتبه شارداً ..

لماذا تعلق بـ (حنان) فى الآونة الأخيرة ؟

ما زال يذكر كيف أثارت ملامحها وجديتها انتباهه حينما رآها لأول مرة ..

يومها أخبرته فى صراحة وبساطة ووضوح أنهـا لم تكتسب أية خبرة من قبل ..

جذبته صراحتها وبساطتها حينذاك ، وقرر أن يحتفظ بها إلى جواره ..

لم يندم يوماً على هذا القرار حينما أثبتت تفوقها ونشاطها ..

ولكنه لم يكن حرًّا فى ذلك الحين ..

كانت (نجوى) تحيط مشاعره بستائر سوداء تحجب عنه الرؤية ..

كانت تملأ كيانه ومشاعره ..

لولا هذا لكان له مع (حنان) شأن آخر ..

وربما كان له معها هذا الشأن ، لو لم تعد (نجوى) إلى حياته على هذه الصورة ..

عاد يسأل نفسه : أما زال يحب (نجوى) حقًّا ؟!

أدهشه أن يحيره السؤال كثيراً ..

كاد يعترف فى قرارة نفسه أنه لم يعد يحبها ..

إنه عاش فى وهم كبير طيلة خمسة عشر عاماً ..

كاد يعترف أن السنوات التى قضاها فى الكفاح قد بدلتـه ..

لم تعد (نجوى) – على الرغم من جمالها الصارخ – هى النموذج الذى يخلب لبه ..

كان يبحث فى الواقع عن فتاة بسيطة مخلصة مثل (حنان) .

كاد يعترف بكل هذا لولا أن اقتحم (عطوان) مكتبه فجأة ..

شتت هـذا أفكاره ، وأربكه حينما بادره (عطوان) فى مرح .. :

– فيم تفكر أيها العاشق ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مغتصبة ، وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه ، قائلا :

– تفضل يا سيد (عطوان) .. أهى استشارة هندسية أخرى ؟

أجابه (عطوان) فى مرح ، وهو يستقر بجسده البدين فوق المقعد :

– بل زواج يا صديق .

ارتجف قلب (سامح) وهو يسأله فى توتر :

– زواج ؟ !

مال (عطوان) نحوه وهو يهمس كمن يفشى سرًّا خطيراً :

– نعم يا صديقى .. زواج .. إنها تلك الموظفة فى شركتك ، سيتم زفافنا الليلة .

شحب وجه (سامح) وهو يتراجع إلى الخلف ، مغمغماً :

– يا إلهى ! !

لم ينتبه (عطوان) إلى الشحوب الذى كسا وجه (سامح) ، فأردف فى مرح ، وهو يضع أمامه بطاقة أنيقة ، مكتوبة بحروف من ذهب :

– لقد فضلت إحضار دعوة الزفاف بنفسى .

التقط (سامح) البطاقة المذهبة بأصابع مرتجفة ، ورفعها إلى وجهه وهو يخفى ارتعاده ..

ولم يكد يقرأ اسم العروس حتى جف حلقه ، وزاغت عيناه ، وفرت الدماء من عروقه ..

هتف فى ذهول :

– (نجوى) ؟ !

تطلع إليه (عطوان) فى دهشة ، وغمغم :

– بالطبع يا صديق ، إنها (نجوى حماد) ، لقد كنت أظنك تعلم ذلك .

انهار (سامح) وهو يخفى وجهه بين كفيه ، متمتماً فى شحوب :

– هذا مستحيل .. مستحيل .

تخبط عقله وهو يبحث عن تفسير معقول ..

لم يستطع أن يفهم لماذا خانته (نجوى) هذه المرة ..

لقد تخلت عنه فى المرة الأولى بسبب المال ..

ولكنه الآن ثرىٌّ ..

لقد أثرى من أجلها ...

ولكنها خانته ....

صرخ عقله إنها تخونه ؛ لأن الخيانة تجرى فى عروقها مجرى الدم ..

خانته ؛ لأنها تعيش بأسلوب الغانية .. تمنح نفسها لمن يدفع أكثر ..

عاد يتمتم فى شحوب :

– هذا مستحيل .. مستحيل .

عقد (عطوان) حاجبيه وهو يسأله فى قلق :

– ماذا يعنى هذا ؟ ألم تقل إنك لا تهتم بأمرها ؟

تطلع إليه بعينين زائغتين ، دون أن يدرى كيف يجيبه ..

لقد فهم الآن فقط أنه لم يكن يقصد (حنان) فى حديثه السابق ، بل كان يقصد (نجوى) ..

تذكر كيف أن (نجوى) نشأت طفلة وحيدة مدللة ، لأبوين لا يدريان شيئاً عن أسلوب التربية السليم ..

نشأت مغرورة ، متكبرة ، عنيدة ، أنانية ..

اعتادت أن تحصل على كل ما تبتغيه ..

ولما مات أبواها تضاعفت أنانيتها وغرورها وعنادها .

تذكر كيف كان يتعامى عن تلك الخصال المؤسفة .. حتى تخلت عنه ..

انقلب حبه لها ، ولهفته عليها إلى كراهية شديدة فى هذه اللحظة .. تبين كم هى حقيرة ، قاسية ، خبيثة ..

لم يجد أمامه ما يقول ، فرفع عينيه إلى (عطوان) ، وغمغم فى إحباط :

– ألم تكن تنوى الزواج من (حنان) ؟

هتف (عطوان) فى دهشة :

– الآنسة (حنان) ؟ ! .. إن هذا لم يخطر ببالى قط .

ثم مال نحوه وهو يسأله فى حيرة :

– ألا تعلم أنها تعشقك ؟

تسللت نسمة من السعادة إلى جحيم أحزانه وهو يهتف فى دهشة :

– يا إلهى !! (حنان) ؟ !

هز (عطوان) كتفيه المكتظتين ، وقال فى حيرة :

– لقد كنت أظنك تعلم هذا ، وتتجاهله ، لقد كانت نظراتها إليك تشف عما يعتمل فى قلبها ، حتى أننى لم أتصور أنك لم تلحظ ذلك .

غمغم (سامح) وقد انجابت غشاوة كثيفة عن عينيه :

– (حنان) !!

استعاد عقله آلاف المواقف والكلمات طوال السنوات الثلاث الماضية ..

تنبه فجأة إلى كل حبها وإخلاصها الصامت ..

هتف قلبه بحبها لأول مرة فى صراحة ..

أخرجه (عطوان) من دفق مشاعره ، حينما هتف فى حدة :

– والآن أخبرنى بالله عليك ، لماذا بدوت تعساً حينما أخبرتك عن زواجى بـ (نجوى حماد) ؟

اعتدل (سامح) وهو يتأمل ملامح (عطوان) ، وانتابته رغبة جارفة فى الانتقام لكرامته الذبيحة وهزيمته النكراء ، فقال وهو يرتجف انفعالا :

– نعم يا سيد (عطوان) .. سأخبرك بكل شىء ..

* * *



١٣ ـ الخسـارة ..

أصغى (عطوان) إلى كل كلمة نطق بها (سامح) فى اهتمام ..

ارتجف جسده البدين وهو يستمع إلى قصة (نجوى)..

غصّ حلقه وهو يرى كل تلك النقائص فى المرأة التى ينوى زواجها ..

انتظر حتى انتهى (سـامح) من قصـته ، ثم أشعـل سيجارته بأصابع مرتجفة ، ونفث دخانها فى عصبية ، وقال وهو يتحاشى النظر إلى عينى (سامح) :

ـ لقد أنقذتنى من الوقوع فى خطإ كبير يا أستاذ (سامح) .

ثم نهض وهو يقول :

ـ صحيح أننى لم أتلقّ تعليماً دراسيًّا كافياً ، ولكن الحياة علمتنى الكثير ..

أصغى إليه (سامح) فى انتباه، على حين أردف هو :

ـ ربما كنت مزواجاً، أحب حياة العبث والمرح، ولكننى لا أميل إلى الزواج من امرأة اعتادت الخيانة .

سأله (سامح) فى انفعال :

ـ ماذا تعنى يا سيد (عطوان) ؟

التفت إليه (عطوان) ، ونفث دخان سيجارته فى عصبية ، وقال :

ـ لن يتم زواجى بـ (نجوى حماد) يا (سامح) بك، لن أتزوج خائنة على الإطلاق .

قال (سامح) فى ارتباك :

ـ ربما وقع اختيار (نجوى)عليك يا سيد (عطوان)، أنا لا أحب أن أكون سبباً فى ..

قاطعه (عطوان) فى صرامة :

ـ إنه قرارى يا (سامح) بك ..

ثم غادر مكتبه على عجل ، دون أن يمنحه فرصـة مواصلة الحديث ..

وفى الممر الخارجى استقبلته (هدى) وهى تقـول فى مرح :

ـ إلى أين يا (عطوان) بك ، هل نسيت وعدك ؟

حدجها بنظرة باردة وهو يقول :

– أى وعد هذا ؟
صاحت فى استنكار :
– العشرة آلاف جنيه . ! !
صاح فى غضب أدهشها :
– كفى خداعاً .
شحب وجهها وهى تنكمش ، قائلة :
– أى خداع هذا ؟ !
لوح بذراعه المكتظة وهو يقول فى غضب :
– لن يتم الزواج ، لن يتم على الإطلاق .
ثم اندفع بجسده البدين يغادر الشركة ، تاركاً إياها فى ذهول ، ولم يكد يختفى من أمام ناظريها حتى أسرعت إلى الهاتف وهى تردد فى شحوب :
– لابد أن تعلم (نجوى) .. لابد ..
أما (سامح) فقد ظل جامداً فوق مكتبه بعد انصراف (عطوان) ..
اجتاحته مشاعر شتى ..
حزن عميق لخيانة (نجوى) ..

فرح جارف لبراءة (حنان) ..
تضارب الحزن والفرح فى أعماقه ..
وفجأة قفز إلى ذهنه سؤال أثار حيرته ..
إذا كانت (حنان) لم تحصل على الخاتم من (عطوان)، فمن أين أتت به ؟
بدأ القلق يغزو قلبه عند هذه النقطة ..
هل رأت (نجوى)(حنان) حقًّا مع رجل آخر ؟..
هل التبس عليها الأمر فظنته (عطوان) ؟
أثار السؤال حيرته وقلقه ..
بعث الشك فى أعماقه ..
هتف فى غضب :
– كلهنّ خائنات ..
تحرك فى سرعة إلى مكتب (نجوى) ..
اعتصره الغضب وهو يتأمل صورتها التى تزين المكتب..
انتزع الصورة فى ثورة ، وألقى بها على الأرض فى قوة ..

اختلط صوت تهشم الصورة بصرخة تجمع ما بين الدهشة والفزع ..

استدار إلى مصدر الصرخة ، فرآها أمامه .

رأى (نجوى) بجمالها الفتان ، وثوبها بالغ الإغراء ..

لم يثر مرآها فى نفسه أكثر من الثورة والغضب والكراهية ..

تجمدت الكلمات فوق شفتيه ..

أطلت من عينيه الفيروزيتين صرخة غضب ..

وفهمت (نجوى) ..

فهمت الإعصار الذى يعصف بقلبه ..

كانت (هدى) قد أخبرتها عن لقائه بـ (عطوان) ..

عن ثورة (عطوان) ، وغضبه ، ورفضه الزواج ..

ولم يكن من العسير على عقل شيطانى كعقل (نجوى) أن يستنتج ما حدث ..

فهمت سبب رفض (عطوان) لها ..

تنبهت أنها ستفقد الرجلين دفعة واحدة ..

ولم يكن باستطاعتها احتمال مثل هذه الخسارة ..

انطلق عقلها الشيطانى يبحث عن وسيلة للمكسب ..

إذا كانت قد خسرت (عطوان) فعليها أن تحتفظ بـ (سامح) ..

لهذا أسرعت إليه .

أعدت خطتها الجهنمية ، وانطلقت لتنفيذها فى جرأة ، ولكن رؤيتها (سامح) وهو يحطم صورتها أثارت فى نفسها الفزع ..

كان عليها أن تستجمع ذكاءها وجرأتها وجسارتها من أجل الفوز ..

واجهت نظراته الغاضبة فى ثبات ، واندفعت نحوه فى جزع مصطنع وهى تهتف :

ـ حبيبى (سامح) ماذا أصابك ؟

جاء صوته صارماً غاضباً وهو يقول :

ـ ماذا تريدين ؟

تجاهلت غضبه وهى تقول :

ـ لقد أخبرتنى (هدى) ما أدهشنى ، هل رأيت ما فعله هذا المجنون (عطوان) ؟

سألها فى صرامة :

ـ ماذا فعل ؟

تظاهرت بالدهشة والحيرة وهى تقول :

ـ إنه يصرّ على الزواج منى ، حتى أنه طبع بطاقات الدعوة للزفاف دون أن يحصل على موافقتى .

تطلع إليها فى دهشة ، وغمغم وقد أصابه الارتباك والحيرة :

ـ دون أن يحصل على موافقتك ؟ !

أسرعت تقول فى دلال :

ـ إنه يطاردنى منذ تسلمت العمل سكرتيرة لك ، وطلب منى الزواج أكثر من مرة ، ولكننى رفضت ، وانتهى به الأمر إلى محاولة توريطى فى الزواج .

اتسعت عيناه وقد تعاظمت دهشته ، ثم استند إلى مكتبها وهو يغمغم :

ـ لم أعد أفهم شيئاً .. لم أعد أفهم شيئاً ..

ابتسمت فى خبث وهى تلمح حيرته ..

علمت أنها قد نجحت فى إثارة الشك فى أعماقه ..

وستنجح فى استثمار هذا الشك لصالحها ..

شعر هو برأسه يدور وهو يحاول أن يفهم ..

اختلط عليه الأمر ، حتى لم يعد يدرى أيهم يخدعه ..

أهو (عطوان) الذى قدم إليه بطاقة الدعوة ؟ ..

أم هى (نجوى) التى تمنحه تفسيراً يصون كرامته ؟ ..

أم (حنان) التى لم تحاول الدفاع عن نفسها ؟ ..

أيهم يخدعه ؟ ..

دار رأسه حتى خيل إليه أنه سيفقد الوعى ..

شعر أنه تسرع حين حطم صورة (نجوى) ..

انتابه بعض الندم ، فانحنى يلتقط الصورة المحطمة ..

وفجأة تصلبت يده فى وسط الطريق ، واتسعت عيناه وهو يحدق فى الصورة ..

الآن فقط فهم كل شىء ..

عرف أيهم يخدعه ..

التقط الصورة وهو يرتجف من فرط الانفعال ، وقربها من وجهه يتأملها فى إمعان ..

ارتجف جسد (نجوى) وهى تحاول أن تفهم سبب انفعاله المفاجئ هذا ..

وفجأة أمسك (سامح) معصمها ، وجذبها إليه فى قوة ، ووضع صورتها أمام وجهها وهو يقول فى غضب :

– صورتك أوقعت بك يا (نجوى) .

أدهشتها قسوته ، وحاولت التملص من قبضته وهى تقول فى فزع :

– ماذا أصابك يا (سامح) ؟ .. ماذا حدث ؟

شدّد قبضته على معصمها وهو يقول فى قسوة :

– انظرى جيداً أيتها الخائنة المخادعـــة .. انظرى إلى يدك اليمنى فى الصورة ..

اتسعت عينا (نجوى) وهى تحدّق حيث أشار .

انهارت ثقتها حينما فهمت ما يعنيه ..

عرفت أنها قد خسرت المعركة ..

خسرت كل شىء ..

فهناك فى الصورة .. كان يزين يدها اليمنى ذلك الخاتم ، الذى أهدته إلى (حنان) ..

لقد رآه (سامح) ، وفهم كل شىء ..

فهم محاولتها لتحطيم(حنان) ، والاستئثار به فى حقارة..

كرهها كما لم يتصور أن يفعل فى حياته ..

كرهها كما يكره الإنسان الموت ، والفقر ، والمرض..

انتقلت كراهيته إليها ، فارتجفت وهى تتعلق به قائلة :

– (سامح) ، سأشرح لك كل شىء .. سأ ..

أخرسها بصفعة قوية ..

صفعة أودعها كل غضبه ، وحنقه ، وكراهيته ..

صفعة ألقت بها أرضاً ، وأنبأتها أن الصراع قد انتهى .

صفعة أخبرتها أن نصيبها هو الخسارة ..

نهضت فى مذلة وانكسار ، دون أن تجرؤ على النظر إليه..

ظل جامداً ، صامتاً ، صارماً ، يتأملها فى برود وهى تنفض الغبار عن ثوبها فى انهيار ..

لم تثر مذلتها أى إحساس بالشفقة فى أعماقه ..

شعر أنها تستحق كل ذلك بعدما فعلته به ، وبـ(حنان)..

راقبها فى برود وهى تغادر المكتب بخطوات مرتجفة مهزومة ..

أدهشه أنها لم تبك ..

لم تذرف دمعة واحدة على هزيمتها ..

تماماً كالأفاعى ..

فالأفاعى لا تبكى ..

إنها تنسحب فى هدوء إذا ما تبينت عدم جدوى القتال ، أو قوة الخصم ..

تركها (سامح) تغادر المكتب .. تغادر حياته كلها ، ثم فاضت مشاعره دفعة واحدة حينما أغلقت الباب خلفها..

انهار فوق مقعدها ، ودفن وجهه بين كفيه ..

أحلام خمسة عشر عاماً تحطمت فى لحظات ..

كشف أنه كان يلهث طوال الأعوام الخمسة العشر الماضية خلف سراب ..

اكتنفه إحساس بالهزيمة ..

وفجأة انبعث ضوء أبيض وسط ظلام الخسارة ..

أمل أضاء حياته بعد أن أحاطت بها الظلمات ..

انتفض فى مقعده وهو يهتف فى حب :

ـ (حنان) .

(حنان) التى منحته حبًّا وإخلاصاً طوال ثلاث سنوات فى صمت ..

(حنان) التى تعذبت دون أن يشعر بحبها ووفائها .

تدفق الحب فى قلبه أنهاراً ، حتى فاضت به مشاعره ..

التقط سماعة الهاتف الداخلى فى لهفة ، وأدار رقم قسم المحاسبة بأصابع مرتجفة ، ولم يكد يسمع صوت محدثه حتى هتف :

ـ صلنى بالآنسة (حنان) .

ارتبك صاحب الصوت وهو يقول :

ـ لقد انصرفت الآنسة (حنان) يا سيدى .

تملكه شعور بالغضب وهو يقول فى حدة :

ـ كيف انصرفت ؟ ! .. إن الساعة لم تتعد العاشرة .

تردد صاحب الصوت لحظة ، ثم أجابه :

ـ إنها لم تعد ترتبط بمواعيد الحضور والانصراف يا سيدى .

صرخ فى غضب :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه الرجل وهو يرتعد

- لقد استقالت يا سيدى .

- استقالت ؟ !

انطلقت صرخته تعبر عن كل ما انفجر فى أعماقه ..

عن لوعته وألمه ..

عن يأسه وندمه ..

سقطت سماعة الهاتف من يده ، وارتجف جسده وهو يغمغم فى لوعة :

- لقد خسرتها .. خسرت الحب الحقيقى الوحيد فى حياتى ..

* * *



١٤ - الضياع ..

رفعت والدة (سامح) حاجبيها فى دهشة وقلق ، حين عاد إلى منزله فى هذا الوقت المبكر ..

وتضاعفت دهشتها وقلقها ، عندما توجه من فوره إلى حجرته دون أن يقبل يدها كعادته ..

كانت تعرف ولدها خير المعرفة ، شأن كل أم ..

كانت تعلم أنه قوى صارم ، لا تقلقه إلا أشد الأمور وأخطرها ..

راودها قلبها أن تسرع إليه ، وتسأله عما يحزنه ..

وأنبأها عقلها أن تتركه وشأنه ..

ولكن القلب ينتصر دائماً فى أعماق الأمهات ..

دقت باب حجرته فى تردد ، وسمعت صوته يدعوها إلى الدخول ، فدفعت الباب ، ودلفت إليه فى هدوء ..

انفطر قلبها وهى تلمح كل ذلك الحزن فى عينيه الفيروزيتين ..

لم يكن حزناً باهتاً كذلك الذى احتفظ به طوال السنوات الخمسة عشر الماضية ..

كان حزناً أقوى وأعمق ...

حزن رجل فقد آماله وأحلامه ..

استقبلها بابتسامة باهتة لم تنجح فى خداعها ، فجلست إلى جواره على طرف الفراش ، وربتت على كتفه فى حنان وهى تقول :

– ماذا بك يا ولدى ؟

أجابها فى حزن لم يستطع إخفاءه :

– بعض مشاكل العمل يا أماه .

أحاطت كتفيه بذراعيها فى أمومة وحنان، وهمست فى عتاب :

– أتخدع أمك يا ولدى ؟

رفع عينيه يتطلع إلى عينيها فى اعتذار ..

كان يعلم أنه غير قادر على خداعها ..

أراح رأسه على صدرها كما كان يفعل فى طفولته ، وشعرت هى بارتجاف جسده بين ذراعيها ، فهمست فى قلق :

– أهى (نجوى) مرة أخرى ؟

أجابها وهو يشعر بالارتياح على صدرها :

– لقد خرجت (نجوى) من حياتى إلى الأبد يا أماه ، ولست نادماً على ذلك .

تنهدت فى ارتياح ، فهى لم تحب (نجوى) هذه طيلة حياتها ..

أنبأتها غريزتها الفطرية دائماً أن (نجوى) مخادعة بالسليقة ..

ولكنها لم تعترض ولدها حين وقع فى هواها ثانية..

أرادت أن تتركه يستبين طريقه وحده ، أو ينبذها وحده ..

واليوم علمت أنه قد توصل إلى قرار ، وأسعدها قراره ..

ولكن غريزتها الفطرية أيضاً أنبأتها أن مبعث حزنه هو الهوى ..

سألته فى حنو :

– من هى إذن ؟

أجابها فى حزن :

– (حنان) .

عقدت حاجبيها فى محاولة للتذكر ، ثم لم يلبث ثغرها أن افتر عن ابتسامة تفيض بالطيبة ، والسعادة ، والارتياح وهى تقول :

– أهى سكرتيرتك الرقيقة ، كستنائية الشعر ، ذات المنظـــار الطبي ، التى أحسنت استقبالى ، حينما ذهبت لزيارتك منذ عامين .

أومأ برأسه إيجاباً ، فانحنت أمه تقبـــل جبينه وهى تقول فى فرح :

– أحسنت الاختيار هـــذه المرة يا ولدى ، لقـــد أحببت هذه الفتاة منذ جالستها لأول مرة ، ويبدو أن الله – سبحانه وتعالى – قد استجاب لدعائى حينذاك ، فقـــد دعوته أن تحل هذه الفتاة محلّ (نجوى) فى قلبك .

ازدادت أعماقه حزناً وهو يقول :

– ليت ذلك حدث فى الوقت المناسب يا أماه .

رددت أمه فى دهشة :

– فى الوقت المناسب ؟! .. لماذا يا ولدى ؟ .. هل أصابها مكروه ؟

اندفع يقص عليها القصة بأكملها ..

أخبرها عن دسائس (نجوى) ومؤامراتها ...

أخبرها عن (حنان) ، وكيف تعذبت من أجله ..

أخبرها كل شيء حتى لحظة معرفته باستقالة (حنان) .

وحينما انتهى ملأه شعور بالراحة ..

شعر كأنما أفرغ أحزانه فى أذنيها ، وجلس ينتظر نصائحها كما كان يفعل فى حداثته ..

صمتت والدته طويلا ، وكأنهـــا تستعيد كل كلمة أخبرها بها ، ثم قالت فى هدوء :

– لا تتركها يا ولدى .

أحنى رأسه فى استسلام وهو يقول :

– لقد تركتنى هى يا أماه .

ربتت على رأسه ، قائلة :

– لا تتركها أنت .. اسع خلفها .

رفع إليها عينيه فى تساؤل ، فأردفت فى حنان :

– الإنسان لا يقابل الحب الحقيقى سوى مرة واحدة فى عمـــره بأكمله يابنى ، وعليه حينئذ أن يتمسك به ، ويقاتل من أجله ، وإلا فلن يعثر عليه ما بقى له من عمر .

لم تدهشه حكمتها الفطرية ، فلقد اعتادها منذ تفتحت عيناه على الدنيا ، فازداد التصاقاً بها وهو يقول :

ـ أأبحث عنها ؟

أجابته فى هدوء :

ـ بالطبع يا ولدى .. ابحث عنها بكل حواسك .. لا تفقدها مهما بذلتَ من جهد ، وحينما تعثر عليها ـ بإذن الله ـ تمسك بها ، ولا تفقدها مهما دفعت من ثمن ، فزوجة صالحة مخلصة وفية خير من الدنيا وما فيها .

انبعث الحماس فى عروقه ، وهبَّ واقفاً وقد زايل عيناه حزنهما ، وتطلع إلى ساعته وهو يقول فى انفعال :

ـ إنها الثانية عشرة فقط ، ولم يغادر الموظفون الشركة بعد ، سأعثر على عنوانها بلا شك فى ملفات الشركة .

انحنى يقبل يد والدته وهو يهتف :

ـ دعواتك يا أماه ..

تأملته وهو يندفع إلى الخارج فى حماس ، وجففت دمعة سعادة انهمرت على وجنتيها ، وغمغمت فى حنان :

ـ تصحبك السلامة والتوفيق يا ولدى .

قاد سيارته إلى الشركة فى سرعة لم تألفها طبيعته الرصينة ، ولم يكد يصلها حتى أسرع إلى قسم الملفات فى حماس أدهش موظفيه ، وأثار ارتباك المسئول عن الملفات ، حينما رآه يقتحم غرفته ، قائلا فى عجل :

ـ أعطنى ملف الآنسة (حنان) يا (شوقى) .

أسرع (شوقى) يناوله ملف (حنان) فى ارتباك ، وهو يتساءل فى دهشة عن سر حماس رئيسه وانفعاله ..

قلب (سامح) أوراق الملف فى انفعال ، وبحث بعينيه عن خانة العنوان ..

سيطر عليه الغضب والحنق والإحباط حينما رأى الخانة خالية ، فرفع رأسه إلى (شوقى) ، وتطلع إليه بعينين غاضبتين وهو يقول :

ـ أين عنوانها ؟

ازداد ارتباك (شوقى) وهو يحاول تفسير الأمر ، قائلا :

ـ حينما تسلمت الآنسة (حنان) عملها هنا كان والدها قد انتقل منذ فترة قصيرة للعمل بالقاهرة ، وكانوا يقيمون فى شقة مؤقتة ، ولم يستقر عنوانهم بعد ،

وأخبرتنى هى – حينذاك – أنهم سيتسلمون واحدة من شقق الإسكان بعد شهر واحد ، ففضلنا ترك هذه الخانة خالية حتى تبلغنا عنوانها الدائم .

صاح (سامح) فى غضب :

– ألم تبلغكم إياه طوال ثلاث سنوات ؟

ارتجف جسد (شوقى) أمام غضب (سامح) ، فتلعثم وهو يقول :

– لقد نسينا الأمر طوال الوقت ، ثم إنها لم تغب يوماً واحداً ، ولم توجه إليها أية إنذارات طوال عملها ، فلم نحتج إلى معرفة عنوانها و ..

قاطعه (سامح) فى غضب :

– غبى .

احتقن وجه (شوقى) وهو يتطلع إلى (سامح) فى ذهول ..

إنه لم يسمعه ينطق بكلمة واحدة غير مهذبة منذ تسلم عمله بالشركة ..

وهو لم يره يوماً بمثل هذا الغضب .

ظهر الحزن على وجه (شوقى) ، فتنبه (سامح) إلى خطئه ، وربَّت على كتفه ، قائلا :

– معذرة يا (شوقى) ، لقد فقدت أعصابى ، تقبل اعتذارى ..

أجابه (شوقى) فى احترام وتقدير :

– لا عليك يا أستاذ (سامح) .

انصرف (سامح) إلى مكتبه وهو يشعر بحزن وإحباط شديدين ..

جلس ساهماً يفكر فى وسيلة للعثور على (حنان) ..

قفزت إلى ذهنه فكرة جديدة ..

لا بد أن لـ (حنان) أصدقاء أو صديقات فى الشركة..

ولا بد أن أحدهم أو إحداهن يعرف عنوانها ..

حاول أن يتذكر واحداً أو واحدة رآها تجالس (حنان) يوماً :..

وهنا لعب القدر لعبته ..

لم يتذكر (سامح) سوى (هدى) ..

تذكر أنه رآها يوماً تجالس (حنان) ..

لم يتصور أن جلستهما كانت تحمل من الكراهية

أكثر ما تحمل من الصداقة ..

بل إنها لم تكن تحمل أى نوع من الصداقة ..

ولكنه فى قمة لهفته طلب (هدى) لمقابلته ..

وأتت (هدى) وهى تحمل فى قلبها كل الكراهية والبغض تجاه (حنان) ..

ولم يكد (سامح) يسألها عن عنوان (حنان) حتى تيقظت كل تلك المشاعر فى أعماقها ..

حتى ما خسرته من أجل حقارتها اعتبرت (حنان) المسئولة الأولى عنه ..

ووجدتها فرصة سانحة للانتقام ..

لم يكد (سامح) يسألها عن (حنان) ، حتى مطت شفتيها ، وقالت :

– إنها لم تكن تصادق أحداً ، ولم تكن تسمح لأحد بزيارتها ، ولن تجد موظفاً واحداً يعرف عنوانها .

انهارت أحلامه مع كلماتها ..

شعر باليأس وهو يطلب منها الانصراف ..

وانصرفت (هدى) وهى تبتسم فى شماتة ..

لقد انتصرت ..

لقد حققت انتقامها ..

وشعر هو بالضياع الكامل بعد أن فقد آخر أمل فى العثور على (حنان) .

انقبض قلبه حزناً ويأساً ..

لقد فقد حبه الوحيد بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى منه ..

يا للقدر !!

إنه يفرض شروطه عندما نرغب فى تحديه ..

إنه ينتصر دائماً على الرغم من إرادتنا ..

تعاظم شعور (سامح) بالضياع ..

شعر أنه يقول لحبه وداعاً لحظة لقائهما .. وداعاً إلى الأبد .

* * *



١٥ – لا تقل وداعا ..

فقدت حياة (حنان) الكثير بعد استقالتها من الشركة ، وابتعادها عن (سامح) ..

فقدت السعادة والأمل ..

فقدت الحب واللهفة ..

أصبحت حياتها خاوية إلا من الحزن واليأس ..

كانت تشعر فى بعض الأحيان بالكراهية تجاه (سامح) ، الذى لم يلتفت إلى حبها مرة واحدة ، ولكن حبه لا يلبث أن يملأ قلبها ، فلا يدع فيه مكاناً للكراهية ..

كانت تعشقه حتى بعد أن فقدته ..

وربما زاد فقده من نار الحب فى قلبها ..

فهكذا الحب الحقيق ..

فالفراق يشعل الحب الناضج ، ويطفئ الحب التافه ..

وحبها لـ (سامح) هو الحب الحقيق الوحيد فى حياتها ..

لم تحب من قبله ، ولاتعتقد أنها قادرة على الحب من بعده ..

انفطر قلب والديها حزناً على ما أصابها ، دون أن يعرفا له سبباً ..

شقيقتها (غادة) وحدها كانت تعلم ، ولكنها لزمت الصمت ..

لم تعد (حنان) تغادر منزلها إلا لماماً ..

كانت تتصفح صحف القاهرة كلها بحثاً عن خبر زواج (سامح) و (نجوى) ، دون جدوى ..

تصورت أنهما لم يعلنا زواجهما ..

راودتها بعض الأحلام السعيدة ..

تصورت (سامح) يهرع إلى منزلها بعد معرفته باستقالتها ..

تصورته يحتضن كفها بين راحتيه ..

تصورت نظرات الحب تطل من عينيه الفيروزيتين ..

تصورت كل هذا فى أحلامها ..

ولكنها لم تتصور احتمال تحول الأحلام إلى الواقع ..

لم تتصور أن يبحث عنها (سامح) حقًا بعد مرور ثلاثة أيام على استقالتها ..

ثلاثة أيام ؟ ! ..

لقد بدت لها كدهر كامل ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة ظهراً ، حينما دخلت شقيقتها (غادة) إلى حجرتها صامتة ..

ظلت كلتاهما تتأمل الأخرى لحظة ، ثم قالت (غادة) :

– سمعت أنهما لم يتزوجا .

سألتها (حنان) وهى تعرف جواب سؤالها :

– من هما ؟ !

تطلعت إليها (غادة) فى عتاب ، وكأنها ترفض أسلوب المحاورة هذا ، وقالت :

– (سامح) و (نجوى) .

خفق قلب (حنان) ، حينما سمعت اسم (سامح) ، ولكنها تماسكت ، وأخفت مشاعرها وهى تقول فى هدوء زائف :

– هل أجّلا زواجهما ؟

نجحت (غادة) فى دفعها إلى إبراز مشاعرها ، حينما قالت فى هدوء :

– إنهما لن يتزوجا مطلقاً .

اعتدلت (حنان) فى حركة حادة ، وتطلعت إلى شقيقتها فى دهشة ، ثم هتفت غير مصدقة :

– ماذا تقولين ؟ !

كررت (غادة) قولها فى إصرار :

– إنهما لن يتزوجا مطلقاً .

ثم أردفت فى لهجة ذات مغزى :

– بل إن (سامح) طرد (نجوى) من شركته ، ومن حياته بأكملها .

لم تستطع (حنان) إخفاء انفعالها وهى تهتف :

– من أخبرك بذلك ؟

ابتسمت (غادة) وهى تقول :

– زميلتك فى الشركة (صفية) ، لقد أخبرتنى أنه طرد (نجوى) ، وحطم صورتها ، و ..

صمتت لحظة وهى ترقب انفعال شقيقتها ، ثم أردفت فى هدوء :

– وهو يبحث عن عنوانك منذ ثلاثة أيام ..

هتفت (حنان) ، وقد خفق قلبها فى شدة :

– عنوانى ؟ !

لم تدر أتصدق أختها أم تكذبها ! ..

كانت قد استسلمت ليأسها حتى تبلدت مشاعرها ..

وكانت تخشى استيقاظ هذه المشاعر ..

خشيت أن تعيد إليها كلمات شقيقتها الأمل ، فترتفع إلى قمة الحياة ، ثم تهوى إلى حضيض اليأس إذا ما تكشف عبث القول ..

ترددت ، وحاولت أن تبحث فى عينى (غادة) عما يؤيد شكوكها ، ولكن عينى (غادة) كانتا كعينيها .. صريحتين ، بسيطتين ، واضحتين ..

سرت ارتعادة فى جسدها وهى تكرر :

– يبحث عن عنوانى ؟ !

ثم هتفت فى دهشة يمتزج بها بعض الأمل :

– ولكن لماذا ؟

هزت (غادة) كتفيها وهى تقول :

– من يدرى ؟

عادت (حنان) إلى ترددها ..

ماذا لو أنه يبحث عن عنوانها حقًّا ، ولكنه لا يحبها ؟.

ربما كان يحاول إقناعها بالتنازل عن استقالتها فقط ..

ربما كان يبحث عنها سكرتيرة نشطة يصعب تعويضها ، لا حبيبة لا يجد سواها ..

أقنعها الرأى الأخير ..

أعاد إلى قلبها شعور اليأس والحزن ، فقالت وهى تشيح بوجهها عن شقيقتها :

– فليبحث ما بدا له .

ساد الصمت لحظة ، ثم سألتها (غادة) :

– هل تسمحين لـ (صفية) أن تخبره بعنوانك ؟

هتفت فى حدة :

– كلا ..

لم تكد تنتهى من صيحة الرفض التى أطلقت ، حتى سمعت طرقات رقيقة على باب حجرتها ، وقبل أن تطلب من الطارق الدخول ، تحرك الباب فى هدوء ، وأطل وجه أمها طيب الملامح وهى تقول فى ابتسامة فرحة :

– هناك زائر ينتظرك فى حجرة الجلوس يا (حنان).

تألق بريق أمل فى عينى (غادة) ، والتفتت إلى شقيقتها التى عقدت حاجبيها ، قائلة :

– زائر ؟ ! .. من يكون ؟

اتسعت ابتسامة والدتها وهى تقول :

- إنه مديرك السابق ، الأستاذ (سامح) .

قفزت (حنان) من مقعدها وهى تقول فى ذهول :

- (سامح) ؟ !

ثم تداركت أمرها وهى تقول فى ارتباك ، بدت فيه انفعالاتها :

- الأستاذ (سامح) ؟ ! .. ماذا أتى به ؟

ابتسمت أمها فى طيبة وهى تقول :

- ومن أدرانى يا بنتى ؟

أصابهـــا الارتباك والحيرة ، وتطلعت إلى (غادة) تسألها المشـورة ، فابتسمت (غـادة) وهى تلتفت إلى أمها ، قائلة :

- أخبريه أنها ستحضر بعد قليل يا أماه ..

انصرفت الأم وهى تبتسم ابتســامة تنم عن فهمها للأمر ، على حين اتسعت ابتسامة (غادة) وهى تلتفت إلى (حنان) ، قائلة :

- هيا .. ينبغى أن تتزين العروس .

ولقد بدت (حنان) باهرة الحسن وهى تقترب فى خطوات مرتبكة من (سامح) ، الذى استقبلها بابتسامة عريضة ، وهو يتأمل ملامحها فى سعادة ..

أدهشه أن لها كل هذا الجمال ..

أدهشه أنه لم يلحظ ذلك طوال عملها إلى جواره ..

هتف فى انبهار :

- يا إلهى ! ! إنك تبدين مختلفة تماماً يا (حنان) ، أنت رائعة الجمال ..

كادت تصرخ من الفرح وهى تسمع إطراءه ..

تذكرت كيف لم يلتفت إليها حينما فعلت ذلك من أجله وحده مسبقاً ..

أعادت إليها ذكرى ذلك اليوم بعض مشاعر الحزن والإحباط ، فأسرعت تطردها من ذاكرتها وهى تسأله :

- كيف توصلت إلى عنوانى ؟

ابتسم وهو يقول :

- إنك لم تتركى عنوانك فى ملفات الشركة ، ولم أجد من يعرفه هناك ، وكـاد اليأس ينتابنى لولا أن وجدت وسيلة للوصول إلى عنوانك ..

غمغمت :

– وسيلة ؟ !

أومأ برأسه وهو يقول :

– نعم .. لقد وجدت رقم بطاقتك الشخصية فى ملفك بالشركة ، وعن طريق بعض الأصدقاء أمكننى تتبع هذا الرقم من الشرقية ، حيث كنتم تقيمون قبل انتقال والدك إلى القاهرة ، وقادنا هذا إلى ملفك بالسجـل المدنى فى القاهرة ، وهناك عثرت على استمارة قيدت فيها عنوانك الجديد ، ولقد استغرق هذا ثلاثة أيام ، بسبب الروتين الحكومى ، وهأنذا .

كان يبتسم وهو يشرح تلك العملية المعقدة ، فسألته فى دهشة :

– ولم تجشمت كل هذا العناء ؟

أجابها فى هدوء :

– كان لا بد لى من العثور عليك .

انتابتها مخاوفها القديمـة من أن يكون بحثه عنهـا لمجرد عودتها للعمل ، فأسرعت تقول فى عناد :

– لن أسحب استقالتى .. إننى ..

قاطعها وهو يقول فى هدوء :

– لقد قبلت استقالتك ..

حدّقت فى وجهه ذاهلة ..

لم تتصور تخليه عنها بهذه البساطة ..

ولكن لماذا جاء ما دام قد قبل استقالتها ؟ ..

وجدت نفسها تردد فى دهشة :

– قبلت الاستقالة ؟ !

اتسعت ابتسامته حتى شملت وجهه كله وهو يقول :

– بالطبع ، فأنا لا أحب أن تعمل زوجتى .

خفق قلبها فى فرح جنونى ..

تدفقت مشاعرها كالسيل تجتاح نفسها ..

لم تصدق أذنيها فى البداية ..

هو يطلبها للزواج ؟!

(سامح) الذى أحبته فى صمت يطلبها للزواج ؟!

ولكن كيف ؟ ..

إنها لم تعترف له بحبها مطلقاً ..

رددت فى ذهول :

- الزواج ؟ !

أجابها فى تردد :

- إذا كنت تقبلين بالطبع .

نقبل ؟ ! .. وهل يمكنها أن ترفضه ؟ ..

ألا يعلم أن ما يطلبه منها هو حلم حياتها ؟ ..

ألا يعلم أنها احتملت الحياة كلها من أجل هذه الكلمة؟

كادت تبكى وتلقى نفسها بين ذراعيه ..

كادت تهتف أنها تحبه .. ولم تحب سواه ..

هل أنصفها القدر أخيراً ؟ ..

هل ابتسم لها بعد كل هذا العذاب ؟ ..

تجمدت الانفعالات على وجهها ..

لم تفصح ملامحها عن حبها الجياش ..

كل ما تألق على وجهها هو الذهول ..

الذهول فقط ..

حتى أنه لم يفهم ..

لم يفهم (سامح) ما أصابها ..

خيل إليه أنها ترفضه ..

أحنى رأسه ، وارتبك وهو يغمغم :

- لا يمكننى إجبارك على القبول بأية حال ، يمكنك أن تقولى وداعاً و ..

قاطعته وهى تهمس فى حنان دافق :

- (سامح) ..

عبرت حروف اسمه شفتيها كالموسيقى ...

نطقت اسمه على نحو يعترف بكل ما تكنه له من حب..

بكل حنانها وعشقها ورغبتها ..

خرج اسمه من بين شفتيها يقص قصة حبها ..

قصة حب مخلص وفىّ ..

حب دام ثلاث سنوات فى صمت ..

خرج اسمه معبراً عن كل مايجيش به صدرها منذ أحبته..

الآن فقط تأكد (سامح) من حبها ..

التقت عيناه الفيروزيتان بعينيها العسليتان ..

تدفق الحب والحنان فى نظراتهما ..

مدّت كفها إليه ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل ، ونطقت ملامحها بالحب وهى تهمس :

ـ لا تقل وداعاً يا (سامح) .

التقط كفها الرقيق بين أصابعه ، وخفق قلبه ..

بل خفق قلباهما ..

خفق قلبان عاشقان ، حينما أردفت فى همس :

ـ لقد بدأ الفصل الأول من قصة حبنا ، ولن نسدل الستار عليها أبداً .

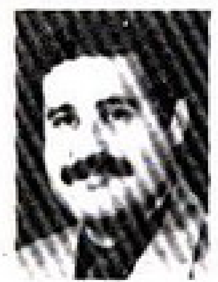
* * *

(تمت بحمد الله)



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

٢

لاتقل وداعا

قضت (حنان) ثلاثة أعوام من عمرها وهى تحب (سامح) فى صمت ، كانت تعلم أنه مازال يذكر حبه السابق ، وفجأة ظهرت حبيبته السابقة فى حياته . عادت إليه بعد أن فقدت كل شىء ، وكان عليها أن تقصى (حنان) من الطريق .. ترى أتدافع (حنان) عن حبها من أجل (سامح) ؟ أم تجد نفسها مضطرة لأن تقول لحبها وداعا .. ؟

• • •

الثمن فى مص
ومايعادل دولارا أمريكيًا فى الدول العربية والعالم